

الأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول

(١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٤٩ - ٨٤٦ م)

إعداد

دكتور / امام الشافعي محمد حمودي

أستاذ مساعد قسم التاريخ والحضارة

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر بأسسيوط

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

وبعد ،،،

فتعد الأحجار الكريمة من الأشياء الفريدة في الكون التي أبدع الخالق سبحانه وتعالى في صنعها وجمالها وتعدد ألوانها وأشكالها ، وهي من الأشياء القليلة التي ترنو كل نفس بشرية إلى الحصول عليها ، سواء لجمالها ورونقها ، أو لارتفاع أسعارها نظراً لندرتها وخفة حملها .

وقد بلغ من اهتمام العلماء المسلمين بالجواهر والأحجار الكريمة في مختلف العصور التاريخية ، أن ألفوا فيها كتباً كثيرة ، بينوا فيها خصائصها وأماكن تواجدها ، وأسعارها ، بل وجعلوا لها علماً قائماً بذاته هو علم الجواهر ، هذا على الصعيد العلمي ، أم على الجانب العملي ، فقد كانت الأحجار الكريمة قبل الإسلام قنية الأكاسرة في بلاد فارس ، ثم اتسع الاهتمام بها في أيام خلفاء بني أمية فامتلأت بها خزائنها ، ولما جاء بنو العباس ، عملوا على زيادة الاهتمام بالأحجار الكريمة ، حيث غمت حركة التجارة خاصة في العصر العباسي الأول ، فأقبل المسلمون على البحث عن هذه الأحجار واستخراجها من بحار وجبال بلدان الخلافة العباسية ، كما قاموا باستيراد بعضها لسد حاجة الخلفاء والأمراء المتزايدة من هذه الأحجار الكريمة .

هذا ، وإذا كان المجد مبنياً على التفرد ، فإن خلفاء بني العباس ، كانوا حريصون على بناء هذا المجد بكل صورة ، وذلك من خلال عدة وسائل ، كان من أهمها اقتناء كل غال وثمين من هذه الأحجار الكريمة التي لم يوجد مثلها عند غيرهم من أهل عصرهم ، فكان عندهم على سبيل المثال ما يعرف بالدرة اليتيمة التي يعبر اسمها عن مقدار ثمنها .

وقد دفعني إلى الكتابة عن هذا الموضوع " الأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول " ما طالعته على الشبكة الدولية العنكبوتية " الإنترنت " من أن اليهود يسيطرون اليوم

على أكثر من ٨٠% من تجارة الماس العالمية وهو من الأحجار الكريمة التي خف وزنها وارتفع ثمنها ، فاهرت إلى المصادر التاريخية باحثاً عن دور للمسلمين في تجارة الأحجار الكريمة ولو صغير ، فوجدت أنهم كانوا رواداً لكل الدنيا استخراج وصناعة وتجارة الأحجار الكريمة عموماً ، خاصة في عصر النهضة الاقتصادية التي شهدتها بلدان العالم الإسلامي في العصر العباسي الأول .

وقد تناولت هذه الدراسة الحديث عن مفهوم الجواهر والأحجار الكريمة وما يتعلق بهما من ألفاظ ، ثم الأسماء المتعددة للأحجار الكريمة وأنواعها المتعارف عليها في العصر العباسي الأول ، وكذلك أماكن تواجد هذه الأحجار في بلدان العالم الإسلامي وغير الإسلامي ، والطرق المتعددة لاستخراج هذه الأحجار سواء كانت بحرية أم برية ، ثم ألوانها وأوزانها المختلفة ، وطبقة التجار العاملين فيها ، ولم تغفل الدراسة أيضاً ذكر أسباب اقتناء هذه الأحجار وفئات مقتنييها من الخلفاء والأمراء والعامة من الناس ، وختمت هذه الدراسة بالحديث عن دور الأحجار الكريمة في الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الأول .

أخيراً ، أرجو من الله العلي القدير أن يستفيد من هذا البحث كل من يقرأه ، وأن يكون خطوة متواضعة في تذكير المسلمين باستعادة مجدهم الغابر في ريادة ما خف وزنه وارتفع ثمنه .

والله من رواء القصد والسبيل

بين الجواهر والأحجار الكريمة

وضع المتقدمون فى الجواهر كتباً كثيرة بينوا فيها أثمانها ، وعمود صفاتها ، وأماكن معادنها ، وكيفية استخراجها ^(١) ، وأوزانها وأسعارها واستعمالاتها، لكن من الأهمية بمكان قبل الحديث عن الجواهر والأحجار الكريمة ، أن نبين ماهية هذه الجواهر والأحجار الكريمة والألفاظ ذات الدلالات المشتركة بينهما .

يقول ابن منظور ^(٢) : " الحجر : الصخرة ، والجمع فى القلة أحجار ، وفى الكثرة حجار وحجارة ... والحجران الذهب والفضة ، ويقال للرجل إذا كثر ماله وعده ، قد انتشرت حجرته " ، والحجر يراد به عند الإطلاق جواهر كل جسم جماد . ^(٣)

أما وصف هذه الأحجار بالكريمة فمن الكرامة ، اسم للإكرام ، وهو إيصال الشئ الكريم ، أى النفيس إلى المكرم ^(٤) ، أى أنها وصفت بالكريمة من باب إكرام الناس لها ، وذلك بدفع الأموال الطائلة من أجل الحصول عليها ، وبمحافظة فى أماكن آمنة .

ومن الألفاظ التى تطلق على هذه الأحجار لفظ الأعلاق النفيسة ، والأعلاق من العلق بالكسر ، وهو الشئ النفيس الذى يتعلق به صاحبه فلا يبرح عنه ، والشئ النفيس سمي به ؛ لأن النفوس تعلق به ^(٥) ، والنفيسة من النفيس ، والنفيس والمنفس المسال الذى له قدر وخطر ، ثم عمّ قليل : كل شئ له خطر وقدر فهو نفيس ^(٦) ، فالنفيس الخطير الجليل . ^(٧)

(١) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ط — مطبعة المؤيد سنة ١٣١٨ هـ . ص ١٢ بتصرف بسيط .

(٢) لسان العرب : ط — دار إحياء التراث العربى — بيروت — لبنان — الطبعة الثانية سنة ١٩٩٧ م . مادة حجر .

(٣) المغربي : قطف الأزهار فى خصائص المعادن والأحجار ونتائج المعارف والأسرار . تحقيق / برون بدري توفيق . ط — خزنة التراث — بغداد — لم تذكر سنة الطبع . ص ٥٦ .

(٤) المناوي : التوقيف على مهمات التعاريف . تحقيق د/ محمد رضوان الداية . ط — دار الفكر — بيروت — الطبعة

الأولى سنة ١٤١٠ هـ . ج ١ ، ص ٦٠١ .

(٥) المناوي : التعاريف . ج ١ ص ٥٢٣ .

(٦) ابن منظور : لسان العرب . مادة نفس .

(٧) المناوي : التعاريف . ج ١ ص ٧٠٨ .

ويطلق على الأحجار الكريمة أيضاً لفظ الجواهر ، والجواهر : معروف ، الواحدة جوهرة ، والجوهر : كل حجر يستخرج منه شئ ينتفع به ، وجوهر كل شئ ما خلقت عليه جبلته ، وقيل الجوهر فارسي معرب ^(١) . ومن المؤرخين المسلمين من يحصر لفظ الجوهر فى اللؤلؤ فقط ، من ذلك قول الفزولي ^(٢) : "الجوهر اسم عام يطلق على الكبير والصغير منه — أى اللؤلؤ — فما كان كبيراً فهو الدرّ، وما كان صغيراً فهو اللؤلؤ " ، ويقول شيخ الربوة عن ذلك أيضاً ^(٣) : " اللؤلؤ معدن حيواني وهو الجوهر المختص بتسميته الجوهريّة ، وما عداه فمن حيث عموم الجنس " .

ومن الألفاظ التى تطلق على الأحجار الكريمة لفظ المسجد ، ومع أنه يطلق فى الغالب على معدن الذهب ، إلا أنه اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت ^(٤) ، وتوصف هذه الجواهر أحياناً بلفظ الفريدة : وهي الجوهرة النفيسة كأنها مفردة فى نوعها ، والفرّاد صانعها ^(٥) ، كما يطلق على محترف حرفه صوغ المعادن النفيسة وبيعها لفظ الجواهرجي ^(٦) والجوهري .

ويعتبر العرض من أنواع المال ، ويشمل على الأمتعة والبضائع والجواهر والحديد والنحاس والرصاص والخشب وسائر الأشياء المصنوعة منها ^(٧) ، أى أن الجواهر والأحجار الكريمة تعد من الأموال المنقولة .

(١) ابن منظور : لسان العرب . مادة جهر .

(٢) مطالع البدور فى منازل السرور : ط — مطبعة إدارة الوطن — القاهرة — الطبعة الأولى سنة ١٢٩٩ هـ — ج ٢ ص ١٤٠ .

(٣) نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر : ط — مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية — بطرسبورغ سنة ١٨٦٥ م . ص ٧٧ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب . مادة عسجد .

(٥) المصدر السابق : مادة فرد .

(٦) د/ محمد عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية فى الحضارة الإسلامية . ط — دار الشروق — بيروت — لبنان — الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣ م . ص ١٥٨ .

(٧) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص ٢ .

هذا وقد بلغ من اهتمام العلماء المسلمين بالجواهر والأحجار الكريمة أن جعلوا للجواهر علماً قائماً بما هو علم الجواهر ، وهو علم يبحث فيه عن كيفية الجواهر المعدنية البرية كالالماس والياقوت والفيروز ، والبحرية كالدر والمرجان وتتميز ذلك ومعرفة جيدها من رديتها بعلامات تختص بكل نوع منها ، ومعرفة خواص كل منها ، وغايته وغرضه ظاهرة لا تخفى على الإنسان .^(١)

أسماء الأحجار الكريمة وأنواعها

بعد أن تأسست الدولة العباسية ، زاد اهتمام الخلفاء والناس — خاصة من كبار رجال الدولة — بالأحجار الكريمة ، وتفننوا في التزين بها والقتناءها ، فانتشرت تجارتها وزادت أسعارها ، وقد تنوعت أشكال الأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول وتعددت أسماؤها . ذكر يحيى بن ماسويه^(٢) كبير أطباء الخلفاء العباسيين ، أسماء هذه الأحجار الكريمة التي كانت منتشرة في ذلك العصر فذكر منها : اللؤلؤ ، الياقوت ، الزمرد ، الماس ، الخرين ، المادنج ، الأفلوج ، الجمست ، العقيق ، الجزع ، الدهنج ، السبس ، الياسب ، الفيروزج ، البُسن ، اللازورد ، المكى ، الكركهن ، الكركند ، الياسميس ، الكرك ، المستى ، العنبرى ، الغزوي ، الخلنجي ، البلور ، القُبوري^(٣) . غير أن هذه المعادن لا تكاد تحصى ، لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفونه .^(٤)

(١) القنوجي : أجد العلوم . تحقيق / عبد الجبار زكار . ط — دار الكتب العلمية — بيروت سنة ١٩٧٨ م . ج ٢ ص ٢١٧ .

(٢) هو أبو زكريا يحيى (أو : يوحنا) بن ماسويه الخوزي ، كان نصرانياً سرياناً ، وهو كبير أطباء الخلفاء العباسيين ، كان أول نبوغ له في عهد الخليفة العباسي المأمون ، فقد خدم بطبه المأمون ، ثم الوائق ، ثم المتوكل ، وكانت وفاته في سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م ، يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها وفي أى بلد هي ، وصفة الغواصين والتجار . تحقيق د/ عماد عبد السلام رؤوف . ط — الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٧ م . مقدمة المحقق . ص ١٥ — ٢٠ . يتصرف بسيط .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٤ — ٢٥ .

(٤) الأبهشي : المستطرف في كل فن مستظرف . شرحه د/ مفيد قميحة . ط — دار الكتب العلمية — بيروت — الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣ م . ج ٢ ص ٣٠٩ .

وإذا كانت هذه هي أسماء الأحجار الكريمة الأكثر انتشاراً في العصر العباسي الأول، إلا أن من هذه الأحجار الكريمة من له أسماء أخرى وأنواع أخرى ذكرها يحيى بن ماسويه نفسه ، وغيره أيضاً من المؤرخين المسلمين المهتمين بهذه الأحجار .

وفي مقدمة هذه الأحجار الكريمة ذات الأسماء والأنواع المتعددة ، اللؤلؤ وهو نوعان كبير ويسمى الدر وصغير ويسمى اللؤلؤ ^(١) . غير أن أسماء اللآلئ تكثر في العربية جداً ككثرة أسماء الأسد فيها ^(٢) ، فهناك أسماء وأنواع كثيرة للؤلؤ تبلغ نحو سبعة عشر نوعاً بأسماء مختلفة هي : المدحرج ، الخايدار المخروطة ، المقعدة ، العدسة ، الخماناج ، المغربي ، الأصهباني ، الدق ، الطينية ، السراب ^(٣) ، الجماناج ، الوردية ، الكريست ، اللباني . ^(٤)

ومع أن المرجان ذكر في القرآن الكريم بهذا الاسم ^(٥) ، وكان معروفاً أيضاً في العصر العباسي بهذا الاسم أيضاً إلا أن العامة من الناس كانت تطلق عليه اسماً آخر بجانب هذا الاسم هو مُسمى البُسْد وكانت هذه التسمية أشهر من المرجان . يقول ابن خرداذبه عن ذلك ^(٦) : " يُقْلَع من قعر هذا البحر — بحر الروم أو البحر المتوسط الآن — البُسْد ، وهو الذي تسميه العامة المرجان " . كما أن البُسْد نفسه كانت منه أنواع ذات أسماء متعددة أيضاً ، يقول عنها يحيى بن ماسويه ^(٧) : " يُسمى البُسْد في بلاده العموم ، ومنه جنس يقال له الدليكي " .

(١) شيخ الربوة : نخبة الدرر . ص ٧٨ .

(٢) البيروني : الجماهر في الجواهر . تحقيق / يوسف الهادي . ط — شركة النشر العلمي الثقافي — طهران — إيران — الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥ م . ص ١٩١ .

(٣) السراب : هي التي كلما أتى عليها سنة ييست وجفت ثم تتصدع ، فإذا أعيدت في الماء يوماً أو يومين رجعت إلى ما كانت عليه ، يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٢٨ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٤ — ٢٩ .

(٥) قال تعالى في تشبيه الحور العين في مقر الثواب : { كأنهن الياقوت والمرجان } . الرحمن : آية ٥٨ . انظر البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ١٠٨ .

(٦) المسالك والممالك : ط — دار صادر — بيروت — لبنان — لم تذكر سنة الطبع . ص ٩٢ .

(٧) الجواهر وصفاتها : ص ٥٨ — ٥٩ .

ومن الأحجار الكريمة التى ذكرت فى القرآن الكريم أيضاً وحملت أسماء وأنواع متعددة فى العصر العباسى الأول ، الياقوت ، ومن أشباه الياقوت الأحمر ، نوع يسمى الكركند ، أى الياقوت الأصم ، لأنه منعقد ضعيف الشفافية كدر ^(١) ، والكركند ذاته منه جنس يقال له السندبا ، ومنه ما يسمى باللحمى ، ومنه جنس كالمح لا يقبل الجلى ^(٢) ، ومن أشباه الياقوت أيضاً البيجاذى ^(٣) ، وهو يُعرف أيضاً بالبنفش ^(٤) ، ومن أصناف الياقوت أيضاً صنف يُعرف بالراهوى ^(٥) ، ومن أنواع الياقوت أيضاً البلخشي وهو أحسن من الياقوت منظراً وأدق ماءً وأكثر نوراً . ^(٦)

ومن الأحجار الكريمة ذات الأسماء والأنواع المتعددة فى العصر العباسى الأول : الزمرد والزبرجد وهما اسمان مترادفان على معنى واحد لا ينفصل أحدهما عن الآخر إلا بالجوذة والندرة ^(٧) ، وأفضل أنواع الزمرد هو الذبابي وهو أخضر مغلوق اللون جداً لا يشوبه فى خضرته شئ آخر من الألوان وإنما سمي ذبابياً لشبه لونه بالخرقة التى تكون فى الكبار من الذباب . ^(٨) وهناك نوع آخر من الزمرد يسمى بالأصم ، وهو أدنى الأنواع وأقلها ثمناً لقلة مائه وخضرته . ^(٩)

(١) البيروني : الجواهر فى الجواهر . ص ١٢٦ .

(٢) الجواهر وصفاتها : ص ٥٢ . بتصرف بسيط .

(٣) البيروني : الجواهر فى الجواهر . ص ١٦٤ .

(٤) ابن الإكفاني : نخب الذخائر فى أحوال الجواهر . تحقيق : أنستاس الكرملى . ط — القاهرة سنة ١٩٣٩ م . ص ٥ .

(٥) الزهرى : كتاب الجغرافية . تحقيق / محمد حاج صادق . ط — مكتبة الثقافة الدينية — القاهرة — لم تذكر سنة الطبع . ص ٦٦ .

(٦) المصدر السابق : ص ٦٢ .

(٧) البيروني : الجواهر فى الجواهر . ص ٢٦٢ .

(٨) الغزولى : مطالع البدور فى منازل السرور . ج ٢ - ص ١٤٩ .

(٩) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجواهر . تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد . ط — دار الفكر — بيروت — الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٣ م . ج ٢ - ص ٢٤ .

هذا ويعرف حجر البَلُور أيضاً باسم المِها ^(١) ، وهناك نوع آخر من العقيق يعرف بالينع ^(٢) ، كما يعرف الفيروزج بالفارسية باسم " النصر " ويسمى "حجر الغلبة " ويسمى أيضاً حجر العين . ^(٣)

كما كان سائداً فى المعتقد الشعبي آنذاك ، وهناك نوع آخر من الفيروزج يسمى بالدهنج ^(٤) ، ويفسر البيروني السبب فى تعدد أسماء هذه الأحجار الكريمة وأنواعها بقوله ^(٥) : " وللعرب والهند ولوع بتكثير الأسماء لمسمى واحد ، تقتضب بعضها وتشتق بعضها من صفاته وحالاته " .

وعلى الرغم من تعدد أنواع الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول وتنوع أسماؤها ، إلا أن هناك أحجاراً أخرى كانت موجودة فى ذلك العصر، غير أنها كانت قليلة الأهمية قياساً مع الأحجار السالفة الذكر . يقول البيروني عن هذه الأحجار ^(٦) : " فلنذكر الآن أحجاراً معروفة الأسماء وبعضها مجهولة الحقيقة والذات " ، ثم ذكر منها حجر الشاذنج، حجر الحلق ، الحجر الجالب للمطر ، حجر البرد ، مع أن الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول كانت متعددة الأسماء والأنواع والأشكال ، إلا أن بعضها كان أكثر أهمية وأوسع انتشاراً من البعض الآخر .، فقد كان الياقوت سيد الأحجار ^(٧) . مع أنه كان عزيزاً

(١) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص ٢٩٢ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب . مادة ينع .

(٣) ابن الإكفاني : نخب الذخائر . ص ١١ .

(٤) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص ٣١٣ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٨٩ .

(٦) المصدر السابق : ص ٣٥٣ - ٣٦٢ .

(٧) الأبهسي : المستطرف . ج ٢ ص ٣١٠ .

قليل الوجود^(١) سيما الأحمر والأصفر^(٢) ، يقول البيروني عن خلاصة هذه الأحجار الكريمة^(٣) : " الجواهر الفاخرة في الأصل ثلاثة هي : الياقوت ، والزمرد ، واللؤلؤ " .

غير أن هناك من المهتمين بالأحجار الكريمة من المؤرخين المسلمين ، من وسَّع دائرة الأحجار الكريمة ذات الأهمية فحدد أنواعها وموطنها مثل الثعالبي الذي يقول عن ذلك^(٤) : فيروزج نيسابور^(٥) يُعد من نفائس الجواهر ، مع ياقوت سرنديب^(٦) ، ولؤلؤ عُمان ، وزبرجد مصر ، وعقيق اليمن ، وبجاذى بلخ^(٧) .

أماكن تواجد الأحجار الكريمة

الجواهر كل واحد منها مختص ببقعة من البقاع ، وتولدها فيها من خاصية تلك البقعة^(٨) ، فالذهب والياقوت وأنواع الجواهر والدر واللؤلؤ معادن^(٩) كثيرة بالجنوب في خط الاستواء^(١٠) ، وقد تعددت أماكن تواجد الأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول ، لكن ليس معنى هذا أنها كانت ناشئة هذا العصر ، بل كان أكثرها يعمل منذ زمن طويل ،

^(١) يقول الدمشقي عن أنواع الياقوت : " باقي أنواع الياقوت كثيرة الوجود ، وهي رخيصة وأثافاً معروفة عند أهل الخبرة بما " . الإشارة إلى محاسن التجارة . ص ١٤ .

^(٢) ابن الوردي : خريدة العجائب وفريدة الغرائب . ط - مطبعة البابي الحلبي - القاهرة سنة ١٣٤١ هـ . ص ١٢٤ .

^(٣) الجماهر في الجواهر : ص ١٥٦ .

^(٤) لطائف المعارف : ط - بريل - هولندا سنة ١٨٦٧ م . ص ١١٣ .

^(٥) نيسابور : مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة ، معدن الفضلاء ، ومنبع العلماء ، من بلدان المشرق الإسلامي .

الحموي : معجم البلدان . ط - دار الفكر - بيروت - لم تذكر سنة الطبع . ج ٥ ص ٣٣٩ .

^(٦) سرنديب : جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند - وهي دولة سريلانكا الآن - الحموي : معجم البلدان . ج ٣ ص ٣٨٠ .

^(٧) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان وهي من أجل مدنها. المصدر السابق ج ١ ص ٤٧٩ .

^(٨) القزويني : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات . ط - مطبعة البابي الحلبي - القاهرة - الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٠ م . ص ١٣٦ .

^(٩) المعادن : هي المناجم ، موطن استخراج وتعدين المعادن . د/ محمد عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية . ص ٥٤٤ .

^(١٠) شيخ الربوة : نخبة الدهر . ص ٣٠ .

لكن زاد الاهتمام بهذه البقايا ، عندما زاد الاهتمام بالأحجار الكريمة والسعى فى الحصول عليها واقتناءها من قبل خلفاء بني العباس ، ومن قبل الخاصة والعامة من الناس .

بداية قبل الحديث عن أماكن تواجد هذه الأحجار الكريمة بشئ من التفصيل ، يجب القول بأنه كانت توجد بعض الأماكن داخل حدود الدولة العباسية وخارجها ، قد امتازت بتعدد الأحجار الكريمة بها بشكل عام ، وتأتي فى مقدمة هذه الأماكن جزيرة سرنديب .

كان بجزيرة سرنديب أنواع اليواقيت ومغاص ^(١) اللؤلؤ ، وقطاع الماس أيضاً والبلور ^(٢) ، وخاصة فى جبل الراهون ^(٣) فحوله الياقوت بألوانه كلها وفى أنهار سرنديب البلور وحولها فى البحر مغاص اللؤلؤ ^(٤) ، كما خصّ الله جل وعزل السند والهند بأنواع الطيب والجواهر واليواقيت والألماس وغير ذلك من الحجارة الثمينة ^(٥) ، وفى بحر فارس مغاص اللؤلؤ الجيد البالغ الذى لا يوجد مثله فى شئ من البحار ، وفى جزائره معدن العقيق ، وأنواع اليواقيت ^(٦) ، وفى مدينة بذخشان ^(٧) معدن البلخش المقاوم للياقوت ، وبها معدن اللازورد ، ومعدن البيجادق وبها معدن البلور الخالص . ^(٨)

^(١) الفوص : الروول تحت الماء ، والفوص موضع يخرج منه اللؤلؤ ، والفواص : الذى يفوص فى البحر على اللؤلؤ ، والفاصة : مستخرجه . ابن منظور : لسان العرب : مادة غوص .

^(٢) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد . ط - دار صادر - بيروت - لم تذكر سنة الطبع . ص ٤٣ .

^(٣) جبل الراهون : هو الذى هبط عليه آدم - عليه السلام - وهو ذاهب فى السماء ويراها البحريون من مسافة أيام كثيرة . الحموي : معجم البلدان . ج ٣ ص ٢١٦ .

^(٤) ابن خرداذبه : المسالك والممالك . ص ٦٤ .

^(٥) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان . ط - مطبعة بريل - ليدن - هولندا . سنة ١٣٠٢ هـ - ص ٢٥١ .

^(٦) القزويني : عجائب المخلوقات . ص ٨٥ .

^(٧) بذخشان : بلدة فى أعلى طخارستان متاخمة لبلاد الترك . الحموي : معجم البلدان . ج ١ ص ٣٦٠ .

^(٨) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد . ص ٣٠٦ .

هذا وقد تمتلأ أماكن تواجد الأحجاز الكريمة فى العصر العباسى الأول على النحو

الآتى :

- اللؤلؤ :

كانت مصائد اللؤلؤ كما هى فى وقتنا الحاضر متركزة فى موقعين ، فى اغيط الهادي، وفى الخليج العربى ، والمضيق الذى يفصل الهند عن جزيرة سيلان .^(١) يقول ابن الوردى عن أماكن اللؤلؤ^(٢) : " يتكون فى بحر الهند وفارس " ، وفى جزيرة سرنديب مغاص اللؤلؤ النقي إلا أنه صغار ، ومهما كان منه كبار فهو رديء^(٣) ، لكن مغاصات بحر فارس أنفسها وأشرفها ، والبحرين منها خاصة ، وسواحل بحر فارس كلها مغاصات متصلة من حدود مكران^(٤) إلى البحرين^(٥) ، فقد كانت هناك مصايد لآلى ذات غلة وافرة فى الخليج العربى وجزر البحرين^(٥) ، لدرجة أن الأصطخري يقول عن أهمية الخليج العربى فى تجارة اللؤلؤ^(٦) : " ولا أعلم معدناً للؤلؤ إلا ببحر فارس " .

(١) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى . ترجمة / أحمد رضا . ط — الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٤ م . ج ٤ ص ١٥٤ .

(٢) خريدة العجائب : ص ١٢٤ .

(٣) الرام هرمزي : عجائب الهند بره وبحره وجزايره . ط — مطبعة السعادة — القاهرة — الطبعة الأولى سنة ١٩٠٨ م . ص ١٣٥ .

(٤) مكران : ولاية واسعة تشمل على مدن وقرى والغالب عليها الفاو — فى إيران حالياً — . الحموي : معجم البلدان . ج ٥ ص ١٨٠ .

(٥) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص ٢٣٩ .

(٥) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . ج ١ ص ٥٥ .

(٦) مسالك الممالك : ط — دار صادر — بيروت — لم تذكر سنة الطبع . ص ٣٢ .

فقد كان فى جزيرة خارك ^(١) مغاصاً للؤلؤ ، يخرج منه الشئ اليسير إلا أن النادر ، إذا وقع من هذا المكان فاق فى القيمة غيره ^(٢) ، وكان فى جزيرة اللار عدة قرى فيها مغاص على اللؤلؤ ^(٣) ، وفى أرض عُمان مغاص اللؤلؤ الجيد ^(٤) ، وبقرى عدن معدن اللؤلؤ ، يخرج ما يقع منه إلى عدن ^(٥) ، كما كان هناك مغاص للؤلؤ فى البحر الأحمر ذكره يحيى بن ماسويه باسم اللؤلؤ القلزمي ^(٦) .

وإذا كانت هذه المغاصات على اللؤلؤ فى المياه المالحة ، فقد كانت هناك مغاصات على اللؤلؤ فى المياه العذبة أيضاً فقد ذكر القزويني بأن فى بحر الصين مالا يحصى ، وفيه مغاص الدر فى الماء العذب يقع فيه الحب ^(٧) الجيد ^(٨) ولعل ما ذكره القزويني هذا يتفق مع ما ورد فى القرآن الكريم بأن استخراج اللؤلؤ والمرجان يكون فى المياه العذبة كما يكون فى المياه المالحة ، وهو ما جاء فى قوله تعالى : { يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان } . الرحمن : آية ٢٢ .

ويتضح من خلال ما سبق ذكره عن أماكن تواجد اللؤلؤ ، بأنه كان سلعة إسلامية عربية خالصة لوقوعه فى حيز بلدان الخلافة العباسية .

^(١) خارك : جزيرة فى وسط بحر فارس — الخليج العربى الآن — ومثلها جزيرة اللار وجزيرة قيس وجزيرة الجاسك . الحموي : معجم البلدان . جـ ١ ص ٣٤٤ .

^(٢) ابن حوقل : صورة الأرض . ط — دار صادر — بيروت — لم تذكر سنة الطبع . ص ٤٧ .

^(٣) الحموي : معجم البلدان . جـ ٥ ص ٧ .

^(٤) ابن الوردي : خريدة العجائب . ص ٥٥ .

^(٥) ابن حوقل : صورة الأرض . ص ٤٦ .

^(٦) الجواهر وصفاتها : ص ٣٦ .

^(٧) الحبة : واحدة الحب وهي الحبوب المختلفة فى كل شئ ، ومقدارها عند جمهور العلماء يساوي (٠,٠٥٩ جرام تقريباً) . د/ علي جمعة : المكايل والموازين الشرعية . ط — القدس للنشر — القاهرة — الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٩ م . ص ٢٢ .

^(٨) القزويني : عجائب المخلوقات . ص ٧٩ .

- المرجان :

توجد المغاصات التي يستخرج منها أجمل الأنواع في القسم الغربي من البحر المتوسط ، وأحسن المغاصات وأكثرها ثراء هي مغاصات سبتة ^(١) وصقلية وسردينيا ^(٢) وكورسيكا ^(٣) ، فيوجد نبات المرجان في قعر البحر الرومي - البحر المتوسط - في ثلاثة مواضع منه ، في جزيرة صقلية ومرسى الخرز ومرسى سبتة ^(٤) ، وكان أهمها مرسى الخرز ، والذي يقول عنه ابن حوقل ^(٥) : " لا يوجد المرجان في مكان غير هذه القرية المدعوة بمرسى الخرز ، وما يخرج من غيرها حقير المقدار قليل الجوهر " . غير إن الإصطخري يذكر مدينة أخرى أهم من مرسى الخرز ، هي طبرقة ^(٦) والتي يقول عنها بدوره ^(٧) : " وليس يُعرف في الأرض معدن للمرجان إلا بها " ، وكان المرجان أيضاً يستخرج من المياه العذبة ، وليس من المياه المالحة فقط كما ذكر آنفاً ، فقد كان في بحر الصين جزيرة تسمى جزيرة المرجان فيها شجر المرجان في ضحضاح بين الملوحة والعذوبة ، وقد اطلعت رعوساً مشعبة ، فإذا أسقطت إليها مراكب أخذوا من ذلك المرجان ما قدروا عليه . ^(٨)

^(١) سبتة : بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر . الحموي : معجم البلدان . جـ ٣ ص ١٨٢ .

^(٢) سردينيا : جزيرة في بحر المغرب كبيرة ليس هناك بعد الأندلس وصقلية أكبر منها - وكورسيكا جزيرة في البحر المتوسط أيضاً - . المصدر السابق : جـ ٣ ص ٢٠٩ .

^(٣) ف. هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى . جـ ٤ ص ١١١ - ١١٢ .

^(٤) شيخ الربوة : نخبة الدهر . ص ٧٢ .

^(٥) صورة الأرض : ص ٧٥ .

^(٦) طبرقة : مدينة بالمغرب من ناحية البر البربري على شاطئ البحر ، وهي عامرة لورود التجار إليها . الحموي : معجم البلدان . جـ ٤ ص ١٦ .

^(٧) مسالك الممالك : ص ٣٨ .

^(٨) المسعودي : أخبار الزمان . ط - دار الأندلس - بيروت - لم تذكر سنة الطبع . ص ٥١ .

ويتضح من خلال ما سبق أيضاً أن المرجان كان سلعة إسلامية لوقوعه فى البحر المتوسط الذى كان بمثابة بحيرة إسلامية كبرى فى العصر العباسى الأول على وجه الخصوص .

- الياقوت :

معدنه — أى منجمه — بالبلدان الجنوبية عند خط الاستواء ^(١) ، لكنه يوجد تحديداً حول جبل الراهون بجزيرة سرنديب خاصة الياقوت الأحمر والأصفر ^(٢) ، أما الحجر البلخش وهو نوع من الياقوت فيخرج من الجبل العظيم فى مدينة بلخشان ... فما كان من شرقي الجبل فى بلخشان كان أحمر اللون ، وما كان منه من غربيه كان أزرق اللون ^(٣) ، وعروق حجر البلخش فى جبلهم كثيرة ، لكن الجيد منه قليل ^(٤) ، كما توجد اليواقيت فى جبل من جبال الصين ^(٥) ويوجد فى جزيرة الموفق — ببلاد الصين — نوع من اليواقيت ^(٦) .

على الرغم من أن الياقوت بأنواعه يوجد فى الغالب خارج حدود الدولة العباسية — كما استفاد مما سبق ذكره — إلا أن المؤرخ الحلبى : ذكر بأن له معدناً — منجماً — بأرض مصر ببلاد الفيوم ، وقد يوجد فى رمال جزائر النيل . ^(٧)

(١) القزوينى : عجائب المخلوقات . ص ١٥٩ .

(٢) سليمان التاجر : عجائب الدنيا وقياس البلدان . تحقيق د/ سيف شاهين المربحي . ط — مركز زايد للتراث — العين — الإمارات العربية المتحدة . الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٥ م . ص ٣٢ .

(٣) الزهرى : كتاب الجغرافية . ص ٦٢ . بتصرف بسيط .

(٤) الحموي : معجم البلدان . ج ١ ص ٣٦٠ .

(٥) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد . ص ٥٤ .

(٦) الزهرى : كتاب الجغرافية . ص ١٥ .

(٧) الحلبى : سر الأسرار فى معرفة الجواهر والأحجار . مخطوط بجامعة الملك سعود — المملكة العربية السعودية . تحت رقم ٥٤٩ — س ٥ ش . ص ٢ .

- الزمرد :

كان في مصر العليا مناجم زمرد ، استغلت على نطاق واسع في العصور القديمة ، ومنذ عصر متأخر كانت منتجات هذه المناجم تصدر إلى الهند ^(١) ، فهذا ما نوهت إليه المراجع الاقتصادية الحديثة ، أما المصادر العربية القديمة فقد أفاضت في تحديد أماكن هذه المناجم في صعيد مصر ، يقول ابن حوقل عن ذلك ^(٢) : " وبصعيد مصر في جنوب النيل معدن الزبرجد في برية منقطعة عن العمارة " ، ويوجد في الجبال التي على أسوان أحجار الزمرد الغالي ، وهو أغلى الزمرد وأطيبه . ^(٣)

كانت مناجم الزمرد هذه واقعة على حدود مصر والنوبة عند بقعة اسمها "خربة" ^(٤) وسط سلسلة الجبال الممتدة في الصحراء بين النيل والبحر الأحمر . ^(٥) وخربة هذه تسمى بخربة الملك ، وهي مدينة شرقي النيل ومعدن الزمرد في هذا الموضع وهناك جبلين يقال لأحدهما العروس وللآخر الخصوم بمناجم معدن الزمرد ، وربما وقعت بهما قطعة تساوي ألف دينار . ^(٦)

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن معدن الزمرد لا يوجد إلا في مصر . من ذلك قول البيروني ^(٦) : " معادن — مناجم — الزمرد لا تتجاوز حدود مصر " . وربما يكون قوله ذلك مبنياً على أن الزمرد المصري من أجود أنواع الزمرد في ذلك العصر ، لأن غيره من الجغرافيين والمؤرخين قد ذكر أماكن أخرى يتواجد بها الزمرد في عصر الخلافة العباسية . من

(١) ف. هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى . ج ٤ ص ١٥٨ .

(٢) صورة الأرض : ص ١٥٠ .

(٣) الزهري : كتاب الجغرافية . ص ٤٤ .

(٤) خربة الملك : على ست مراحل من فقط — حوالي ٢٦٧ كيلو متر — وهي مدينة على شرقي النيل . الحموي : معجم البلدان . ج ٢ ص ٣٥٥ .

(٥) ف. هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى . ج ٤ ص ١٥٩ .

(٦) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد . ص ١٨٧ .

(٧) الجماهر في الجواهر : ص ٢٦٤ .

ذلك قول الزهري ^(١) : " يشق مدينة البيلقان ^(٢) في وسطها النهر المعروف بنهر الطبقات ، ويوجد في هذا النهر أحجار كثيرة من الزبرجد العتيق . ويقول ابن الفقيه ^(٣) : " في بلاد الروم معدن الزبرجد والذهب " . فلا مانع من أن تكون هناك مناجم للزمرد في غير جنوب مصر ، لكن يبدو أن اهتمام المؤرخين بالزمرد في مصر كان مبنياً على جودته وتفوقه على غيره من زمرد البقاع الأخرى .

- الفيروزج :

لقد حصرت المصادر التاريخية أماكن تواجد الفيروزج في العصر العباسي الأول — في الغالب — في بلدان الخلافة العباسية الشرقية ، يقول القزويني عن ذلك ^(٤) : " نيسابور مدينة من مدن خراسان بها معدن الفيروزج " ، وذكر الإصطخرى بأن في جبال نيسابور وطوس ^(٥) يكون الفيروزج ^(٦) ، وذكر القزويني أيضاً أن فرغانة ناحية بما وراء النهر متاخمة لبلاد الترك بها من المعادن الفيروزج ^(٧) ، غير أن هناك من الجغرافيين من ذكر للفيروزج أماكن أخرى غير بلدان الخلافة العباسية الشرقية مثل الزهري الذي يقول عن ذلك ^(٨) : " فيه — أي البحر المتوسط — جزيرة يوجد فيها من أحجار الفيروزج " . لكن أجمل أنواعه موجوداً في خراسان في مجاورات نيسابور ^(٩) ، ويستفاد مما ذكر بأن حجر الفيروزج على

(١) كتاب الجغرافية : ص ١٧ .

(٢) البيلقان : مدينة قرب الدربند الذي يقال له باب الأبواب ، تعد في أرمينية الكبرى — في دولة أرمينية إحدى دول الاتحاد السوفيتي سابقاً — الحموي : معجم البلدان . ج ١ ص ٥٣٣ .

(٣) مختصر كتاب البلدان : ص ٢٥٢ .

(٤) آثار البلاد وأخبار العباد : ص ٤٧٣ .

(٥) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ — حوالي ٥٥ر٦٥٠ كيلو متر — الحموي : معجم البلدان . ج ٤ ص ٤٩ .

(٦) الإصطخري : مسالك الممالك . ص ٢٥٨ .

(٧) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد . ص ٦٠٣ .

(٨) كتاب الجغرافية : ص ١٣٣ .

(٩) ف. هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى . ج ٤ ص ١٦٠ .

الرغم من رخص أسعاره — كما سيذكر لاحقاً — كان حكراً في وجوده على بلدان الخلافة العباسية الشرقية .

- العقيق :

إذا كانت المصادر التاريخية قد حصرت أماكن تواجد الفيروزج في بلدان الخلافة العباسية الشرقية ، فإنها أيضاً قد حصرت أماكن تواجد العقيق والجزع — وهو أحد أنواع العقيق — في بلاد اليمن السعيد دون سواه من بلدان الخلافة العباسية ، يقول المفري عن ذلك ^(١) : " إنه معدن بأقصى اليمن " . لكن من المؤرخين من حدد أماكن تواجده باليمن ، يقول ياقوت الحموي عن إحدى هذه الأماكن ^(٢) : " الهام قرية باليمن بها معدن العقيق " ، ويقول أيضاً ^(٣) : " بنو نجيد مخلاف باليمن فيه معدن الجزع البقراني أجود أنواع الجزع " . ويقول في موضع ثالث للعقيق باليمن ^(٤) : " مقري قرية على مرحلة من صنعاء وبها معدن العقيق ، ينسب إليها " ، أى أنه كان يُعرف بالعقيق المقري ، غير أن أجود أنواع العقيق وأثنىها — في بلاد اليمن — هو العقيق البقراني . ^(٥)

هذا وقد ذكرت بعض المصادر أماكن أخرى لتواجد العقيق والجزع غير بلاد اليمن ، من ذلك قول الحلبي ^(٦) : " معدن — منجم — حجر العقيق بصنعاء اليمن ، وله معدن آخر ببلاد الهند والسند " ، ويقول ابن منظور في حديثه عن الحبشة ^(٧) : " الجزع والعقيق معدنهما اليمن والحبشة " ، لكن على الرغم من حديث هذه المصادر عن أماكن متعددة للعقيق والجزع ، إلا أنها لم تذكرها إلا مقرونة بأماكن تواجدها في بلاد اليمن ، وهذا

(١) قطف الأزهار في خصائص الأحجار : ص ٩٠ .

(٢) معجم البلدان : ج ٥ ص ٣٨٩ .

(٣) المصدر السابق : ج ١ ص ٥٠١ .

(٤) المصدر السابق : ج ٥ ص ١٧٣ .

(٥) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان . ص ٣٦ .

(٦) سر الأسرار : ص ١٨ .

(٧) لسان العرب : مادة حبش .

يدل على عظم العقيق اليمنى وجودته فى ظل الخلافة العباسية .

- البثور :

ذكر الغزولي أماكن تواجد البثور عموماً فقال ^(١) : " معدنه - منجمه - الذى يتكون فيه ، منه ما يوجد بترية العرب بالأحجاز الشريف وهو أجوده ، ومنه ما يؤتى به من الصين وهو دون العربي ، ومنه ما يكون ببلاد أفرنجة ^(٢) وهو جيد أيضاً ، ومنه معادن بناحية أرمينية ^(٣) يميل إلى الصفرة الزجاجية كأنه مطبوخ بالنار " . وفى جبل نوقان ^(٤) بخراسان معدن النحاس والحديد ... وبه شئ من البثور غير صاف ^(٥) .

- الماس :

كانت طبقات الماس موجودة فى القسم الشرقي من الهند ، فى خمس مقاطعات متميزة ، محصورة بين نهر بنير Pennair والمجرى الأوسط لنهر الجانج Gange ^(٦) ، وقد أكد على معلومات المراجع الحديثة المصادر العربية أيضاً ، من ذلك قول القزويني عن أماكن تواجد الماس ^(٧) : " والموضع الذى فيه الماس لم يصل إليه أحد ، وهو وادٍ بأرض الهند " . وذكر القزويني بأن الماس كان يوجد أيضاً فى جبل جزيرة سرنديب ^(٨) .

ويتضح من خلال ما ورد فى المصادر التاريخية بأن الماس لم يكن من الأحجار الكريمة

^(١) مطالع البدور فى منازل السرور : ج٢ ص ١٥٨ .

^(٢) أفرنجة : أمة عظيمة لها بلاد واسعة وممالك كثيرة وهم نصارى ، وهم شمال الأندلس نحو الشرق إلى رومية - يقصد بذلك الأمم الأوروبية الآن - . الحموي : معجم البلدان . ج١ ص ٢٢٨ .

^(٣) أرمينية : هما أرمينتان الكبرى والصغرى ، الكبرى هي خلاط ونواحيها - فى تركيا حالياً - وأرمينية الصغرى تفلنس ونواحيها - وهي جمهورية أرمينيا حالياً - المصدر السابق : ج١ ص ١٦٠ .

^(٤) نوقان : إحدى قصبي طوس وفيها ثنحت القُدور البرام . الحموي : معجم البلدان . ج٥ ص ٣١١ .

^(٥) ابن حوقل : صورة الأرض . ص ٤٣٤ .

^(٦) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . ج٤ ص ١٦٢ .

^(٧) عجائب المخلوقات : ص ١٥٦ .

^(٨) المصدر السابق : ص ١١٦ .

المواجهة في بلدان الخلافة الإسلامية في العصر العباسي الأول .

- اللازورد :

كان يستخرج من جبال فارس أحجار كريمة ، وبخاصة الفيروز واللازورد^(١) ، ومن جبل شرال — بخراسان — كان يجلب اللازورد الخراساني^(٢) كما كانت بذخشان هي أصل اللازورد ولها معادن — مناجم — كثيرة في جبالها .^(٣)

- الأحجار الكريمة الثانية :

إلى جانب هذه الأحجار الكريمة — السالفة الذكر — الذائعة الشهرة ، كانت هناك أحجاراً كريمة ذات شهرة أقل ، تعددت أماكن تواجدها أيضاً ، من هذه الأحجار حجر الخماهن وكان معدنه — منجمه — بالجليل المقطم ونواحيه بأرض مصر^(٤) ، وحجر اليشب كان معدنه — منجمه — الذي يتكون فيه كاشفر^(٥) ومنه يجلب إلى البلاد^(٦) ، أما حجر الدهنج فله معادن — مناجم — بالشام والهند والروم والأندلس وخراسان .^(٧)

وحجر البجاذي حجر شريف يوجد حيث يوجد الياقوت بجبل الراهون من جزيرة سرنديب^(٨) ، وكان لحجر البجاذي مناجم أخرى في العصر العباسي الأول وهذا ما يؤكد يحيى بن ماسويه بقوله^(٩) : " يؤتى به من سرنديب ... وقد ظهر له معادن — مناجم —

(١) ف. هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى . ج١ ص ٥٥ .

(٢) الزهري : كتاب الجغرافية . ص ٦٠ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض . ص ٤٤٩ .

(٤) الحلبي : سر الأسرار . ص ٢٣ .

(٥) كاشفر : مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي وهي في وسط بلاد الترك . الحموي : معجم البلدان . ج٤ ص ٤٣٠ .

(٦) الغزولي : مطالع البدور . ج٢ ص ١٥٧ .

(٧) شيخ الربوة : نخبة الدهر . ص ٨٣ .

(٨) المصدر السابق : ص ٦٤ .

(٩) الجواهر وصفاتها : ص ٦٣ — ٦٤ .

بناحية بخارى^(١) منذ نحو عشر سنين " . وبما أن يحيى بن ماسويه قد توفى في سنة ٢٤٣هـ / ٨٥٧م كما ذكر آنفاً ، فمعنى هذا أن هذا المنجم قد تم اكتشافه قبل وفاته بنحو عشر سنوات على أقل تقدير ، وهذا يؤكد على تواجد مناجم هذه الأحجار وغيرها بكثرة في العصر العباسي الأول .

هذا ويأجرأ دراسة إحصائية لأماكن تواجد الأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول ، والتي ذكرتها المصادر التاريخية آنفة الذكر ، يمكن أن نخلص بالحقائق التاريخية والاقتصادية الهامة الآتية :

١- أن عدد أماكن تواجد الأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول قد بلغت نحو خمسين موضعاً على وجه التقريب .

٢- أن عدد بلدان الخلافة العباسية قد بلغ نحو اثنين وثلاثين بلداً من البلدان التي يتواجد بها الأحجار الكريمة وذلك بنسبة ٦٤% في حين جاءت الصين بنحو ١٠% ، والهند بنسبة ٨% ، وجزيرة سرنديب بنسبة ٨% أيضاً ، في حين حصلت البلدان الأوروبية مجتمعة على نسبة ١٠% فقط .

٣- أن استحواذ البلدان الإسلامية على نسبة ٦٤% من عدد البلدان المتواجد بها هذه الأحجار الكريمة ، يؤكد على أن هذه الأحجار الكريمة كانت سلعة إسلامية خالصة في العصر العباسي الأول ، وهي هامة جداً بالنسبة للاقتصاد الإسلامي حينئذ خاصة وأنهما مما خف وزنه وارتفع ثمنه .

طرق استخراج الأحجار الكريمة

تعددت طرق استخراج الأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول بتعدد أنواعها وخصائصها وطبيعتها البحرية والبرية ، كما أن المصادر التاريخية قد أفاضت في الحديث عن

(١) بخارى : من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها — وهي من أكبر مدن أوزبكستان حالياً — . الحموي : معجم البلدان . ج١ ص ٢٥٢ .

استخراج بعضها ، في حين أنها أحجمت عن الحديث عن طرق استخراج البعض الآخر ، وربما كان السبب في ذلك يرجع إلى ندرة هذه الأحجار في حد ذاتها ، أو لتشابه طرق استخراجها مع الأحجار الأخرى التي أفاضت فيها ، أو ربما لعدم الأهمية الكبرى لهذه الأحجار ، ومن الأحجار الكريمة التي أفاضت فيها المصادر التاريخية كثيراً اللؤلؤ ومغاصاته .

المغاصات هي المواضع التي ينجح فيها غوص القواص بالحصول على صدف^(١) ذي لؤلؤ ، وهي مشهورة وإليها تجهز السفن بالأزودة للأمناء والأجراء بقدر البعد عن الساحل أو بكثرة المكث في البحر على الساحل^(٢) ، أما عن وقت الغوص على اللؤلؤ في بحر فارس — الخليج العربي — فإنما يكون في أول نيسان إلى آخر أيلول ، وماعدا ذلك من شهور السنة فلا غوص فيها^(٣) ، وفي هذه المدة — مدة الغوص — يكون بحر فارس ساكناً ، لأنه إذا هاج قطع الغوص ، وعلى هذا القياس يجب أن ينقطع الغوص في ربيع الخريف والشتاء عن المغاصات في بحر الهند .^(٤)

في كل سنة في فصل صيد اللؤلؤ ، يتقابل عند البحرين تجار البلاد المجاورة فيستأجرون مراكب تستقل غطاسين وصيداين ، وينطلق الأسطول ويتكون عادة من عدد كبير من المراكب بحثاً عن رصيف لآلئ^(٥) ، وهؤلاء الغاصة إنما يستأجرهم التجار مشاهرة ثم يركب منهم السفينة ما بين الستة نفر إلى اثني عشر رجلاً نصفهم غاصة ونصفهم يمسون الحبال على الغاصة كل رجل لرجل وفي كل سفينة أمين من قبل التاجر^(٦) ، فالتاجر هو الأمر أجراء بالغوص ، القيم بالأمر دون القواص^(٧) ، ويعود الغاصة إلى الموضع الذي

^(١) الصدف : صدف الدرة غشاؤها ، الواحدة صدف والجمع الأصداف ، وهو غلاف اللؤلؤة ، وهو من حيوان البحر .

ابن منظور : لسان العرب . مادة صدف .

^(٢) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ٢٣٦ .

^(٣) المسعودي : مروج الذهب . ج ١ ص ١٤٨ .

^(٤) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ٢٤٢ .

^(٥) ف. هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى . ج ٤ ص ١٥٥ .

^(٦) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفافها . ص ٣٨ بتصرف بسيط .

^(٧) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ٢١٧ .

تجهزوا منه للغوص فيما بين ثلاثة أيام إلى أربعين يوماً على قدر قُرب الغاص وبُعده ^(١) ،
فمن شرط الغواص أن يقيم الغواصة فيه — أى البحر — شهرين لا غير وعلى هذا
يتشارطون ^(٢) .

بعد أن يركب الغاصة السفينة تكون لهم حبال من كَتَان طولها ما بين العشرين
ذراعاً إلى الخمسين ، وفى طرف الحبل حجر معلق يكون نحو ثلاثين
متاً ^(٣) ، فيضع الغاص قدمه عليه وينحدر فى الماء إلى قرار البحر عرباناً وعليه فوطته ومعه
مخللة من شريط محمولة فى عنقه ^(٤) ، فإذا أراد الغائص الغوص ، انتظر الظهيرة وتكبد
الشمس السماء ليضى البحر ويظهر له ما فيه ، ثم يحيل البصر حتى يقع على الحار ^(٥) ، وربما
أصابوا فى بعض الغوصات الصدفة فيها الحبة الفائقة النادرة ، وربما اتفق منهم الاثنان والثلاثة
فى قرار البحر فيقتلون على الصدف فى الماء ^(٦) .

ويغوص الغاص فى اليوم ثلاث غوصات ما بينه وبين انتصاف النهار ، ولم يطعم
طعاماً إلا قمرات ، فإذا خرج من غوصه طعم ، وأكلهم السمك المالح والطري والتمر ، وربما
نالوا الخبز القليل ... فإذا فرغوا من غوصهم أخذوا فى شق الصدف ، فما خرج من شئ
دفعوه إلى الأمين ، وموت الصدف فى السفينة إذا خرج من الماء ، فإذا مات انشق فوه
وانفتح فسهل شقه ، وإذا كان حياً اشتد شقه ^(٧) ، وعندما يعودون إلى البر ، يفرزون
لآلئهم ، ويجعلون منها ثلاث فئات حسب حجمها ، ويبيعون جزءاً منها — أى التجار —

(١) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٤٠ .

(٢) الرام هرمزي : عجائب الهند . ص ١٠٢ .

(٣) أى ما يعادل أكثر من ٢٣ كيلو جرام .

(٤) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٣٨ .

(٥) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص ٢٤٦ .

(٦) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٤٠ .

(٧) الجواهر وصفاتها : ص ٣٩ .

و يحملون معهم البالي .^(١)

هذا ولم تكن هذه الطريقة المنظمة فى استخراج اللؤلؤ هي الطريقة الوحيدة للحصول على اللؤلؤ ، بل كان يتم الحصول عليه من على ساحل البحر دون أى عناء ، فأحياناً يوجد فى الأصداف الميتة المتشققة على السواحل شيئاً من اللؤلؤ ، فما وجد فى الميتة كانت القشرة العليا من اللؤلؤة ميتة اللون ^(٢) ، فإذا تعطل الغواصون بانقضاء وقت الغوص ، ترددوا على السواحل فى طلب تلك الأصداف الفاسدة ، واستخرجوا منها جبات متفيرة ، وهذه الأصداف الفاسدة قد ماتت فى القعر ففقدتها الأمواج إلى البر ، وقد فسدت حياتها بموتها .^(٣)

وتحدثت المصادر أيضاً عن طرق استخراج اللؤلؤ من بحر الصين ، يقول الزهري عن ذلك ^(٤) : " أما صيده فالذى يفوص عليه فى قعر البحر يعمل له من الخشب شبه تابوت قاعه واسع ورأسه ضيق على قدر ما يقعد فيه الرجل وله ثقالات فى أسفله ، وله كُمان من الجلد فى أجنابه يتعلق بكل كم منهما وعاء من الصوف ، فيدخل الرجل فى التابوت وهو مقلّط عليه بالقار والشحم ، وله حبل فى رأسه يدلى به فى الماء بعد أن يخرج الرجل يديه من تلك الأكمام التى وصفناها ويربطها من داخلها ، فإذا وصل التابوت بثقله أرض البحر مد يده ، فما وجد من الأصداف جعلها فى الأوعية حتى يملأها ، ثم يحرك التابوت فيتحرك الحبل فى وجه البحر فيرفعه أصحابه فتؤخذ الأصداف وتجعل فى بيت خمسة عشر يوماً حتى يجف ماؤها ويموت حيوانها ، فتفتح ويسقط منها الجواهر وتقشر حتى لا يبقى منه شئ " .

أما عن طريقة استخراج المرجان فهي تشابه إلى حد كبير مع طريقة استخراج اللؤلؤ الآتفة الذكر ، والسبب فى ذلك يرجع إلى كونهما جوهريين بحريين ، فالمرجان تكونه فى

(١) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . ج٤ ص ١٥٥ .

(٢) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٣٢ .

(٣) البرونى : الجمهر فى الجواهر . ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٤) كتاب الجغرافيا : ص ١٦ .

شهر نيسان وبلوغه أيلول ، وهو يستخرج من موضع يسمى مرسى الخرز بقرب ساحل إفريقية ، حيث يجتمع التجار هناك ثم يستأجرون أهل تلك النواحي على استخراج المرجان من البحر ^(١) ، ويعمل فى إثارة المرجان الخمسون قارباً وما زاد على ذلك ، وفى القارب العشرين رجلاً إلى ما زاد ونقص ^(٢) ، والفواصون يزلون عليه ويقطمون ^(٣) ، ويقال إنه يخرج بكالليب حديد ^(٤) ، لأن المرجان واسطة بين النبات والمعدن ، لأنه بتشجّره يشبه النبات ، وبتحجّره يشبه المعدن ، ولا يزال ليناً فى معدنه ، فإذا فارقه تحجر ويبس ^(٥) ، وحصلت له هذه الحُمرَة . ^(٦)

هذه هي طرق استخراج الأحجار الكريمة البحرية ، أما الأحجار الكريمة البرية فيأتي فى مقدمتها الياقوت ، فالأحمر والأخضر والأصفر منه مخرجه من جبل فى جزيرة سرنديب ، وأكثر ما يظهر لهم فى وقت المد ، يدرجه الماء عليهم من كهوف ومغارات ومسائل مياه ... وربما استبطوه أيضاً كما تستبط المعادن ، يخرج الجواهر ملصقاً بالحجارة فيكسر عنه ^(٧) ، وبعضه يلقط من التراب ، وبعضه يلقط من الأودية يأتي به السيل من جبال تلك الجزيرة ، وبعضه فى الجزيرة فى الحماة يطلبه الرجال فيها ^(٨) ، وأما ما أحدره السيل من اليواقيت فيكون خيراً مما يوجد فى التراب والحماة . ^(٩)

(١) المغربي : قطف الأزهار . ص ٧٧ بتصرف بسيط .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض . ص ٧٥ .

(٣) القزويني : عجائب المخلوقات . ص ١٥٦ .

(٤) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٥٩ .

(٥) الأبشيهي : المستطرف . ج ٢ ص ٣١٢ .

(٦) الحلبي : سر الأسرار . ص ٢٩ .

(٧) السيرافي : رحلة السيرافي . تحقيق / عبد الله الحبشي . ط - المجمع الثقافي - أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة سنة ١٩٩٩ م . ص ٨٩ .

(٨) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٤٣ .

(٩) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص ١٢٠ .

ويستخرج الماس أيضاً في جبال سرنديب في وادٍ يسمى وادي الماس وهو بعيد القصر وبه حيات عظام مؤذية فإذا أرادوا إخراج الماس طرحوا فيها ما أمكنهم لحمًا حاراً طري السليخ ، فترى نسور تلك الجهة وهي به كثيرة ، ذلك اللحم فتقض عليه وتأخذه وترفعه إلى حيث تأكله خوفاً من حيات الوادي ، فيقصد طالب ذلك إلى موضع المأكول فيجدون بها ما تعلق باللحم من الماس على قدر العدسة والفولة والحمصة ^(١) ، ويبدو أن وادي الماس هذا كان مليئاً بالفعل بالحيات الكبيرة لدرجة أن الأبيشي قد ذكر عدة وسائل كان يستخدمها أهل هذا الوادي للحصول على الماس والتقاطه ، فذكر بأن هذا الوادي كان مشحوناً بالحيات ، فيأتي من يريد استخراجه من ذلك الوادي فيضع في الوادي مرآة كبيرة فتأتي الحيات فتنتظر إلى خيالها في المرآة ، فتفر من ذلك الجانب فيرل ليأخذ ما له من رزق ، وقيل: إن الحيات لها مشق ستة أشهر في مكان ، ومضيف في ستة أشهر في مكان آخر ، فإذا ذهبت إلى مشتاتها ومضيفها أخذ الحجر في غيبتها ^(٢) ، هذا والدراسة تقيل إلى الرأي الأخير من هذه الرواية ، على أساس أن للأفاقي ما يعرف بالبيات الشتوي مثلها مثل بقية الزواحف.

ومن الأحجار الكريمة البرية أيضاً الزمرد ، ويستخرج بالحفر عنه ، فربما أصابوا العروق فقطعوها ، وهو أجود ما يكون منه ، والباقي يصاب في التراب بالتخل ^(٣) ، وهو صغيره ، وذلك أنهم يتخلون التراب ثم يوجد خلاله فيغسل كما يغسل تراب الفضة ، فيوجد فيه الحجر بعد الحجر ، ويوجد بعضه عليه أتربة ، كالكلل الشديد السواد ، وأكثر ما وجد في الزمرد في التراب فهو الفصّ ، وما قطع منه من العروق فهو القضيبي في اصطلاح الجوهريين ، وهو اعتقه وأخلصه ^(٤) ، وقد تحدث يحيى بن ماسويه عن أجرة العمال الذين

(١) المسعودي : أخبار الزمان . ص ٥٠ ، يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٤٧ .

(٢) الأبيشي : المستطرف . ج ٢ ص ٣١٩ .

(٣) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٥٤ .

(٤) الفزولي : مطالع البدور . ج ٢ ص ١٤٩ .

يقومون بالحفر على الزمرد فقال ^(١) : " وعلى كل رجل منهم يدخل ذلك الجبل خمسة دنائير لعشرين ليلة " ، وكان يحفر عليه في الجبل - بصعيد مصر - أسراباً ويدخل عليه بالنار . ^(٢)

ويتشابه العقيق مع الزمرد في طريقة استخراجة عامة وهي الحفر ، ففي بلاد اليمن من أراد العقيق اشترى قطعة أرض بموضع صنعاء ، ثم حفر فربما خرج له شبه صخرة وأقل ، وربما لم يخرج شيء ^(٣) ، فكل أنواع العقيق تأتي من جبال أو معادن - مناجم - يحتفر منها ، ومنه ما يكون لقطاً من أودية وصحارى . ^(٤)

والبور يوجد في بلاد تركستان ، حيث يوجد جبالان يقطعون الناس منها ليلاً ، لأن الشعاع في النهار يمنع من العمل ليلاً ^(٥) ، ومنه ما يلتقط من البوادي ^(٦) ، أما حجر المادنج فإنه لا يضي ولا يستخرج إلا إذا حفر عنه حفراً كثيراً ، وكذلك الدهنج فهو عروق تتبع ثم يحفر عنها . ^(٧)

هذا ومن الأشياء الهامة التي ذكرتها المصادر التاريخية عن الأحجار الكريمة ، بعض المعوقات التي كانت تعوق عملية استخراجها ، وخاصة اللؤلؤ ، فذكر البيروني بأن البرد عائق عن الغوص قوي ^(٨) ، وهذا العائق ينصرف إلى المرجان أيضاً ، وإن كانت الدراسة لم تعثر على ذلك صراحة في المصادر التاريخية ، وذلك على أساس أنهما حجرين كريمين بحريين ، بل إن البرد ربما يكون أكثر عائقاً للمرجان من اللؤلؤ على أساس أن مكان تواجده الرئيسي هو البحر الأبيض المتوسط ، وهو معروف بكثرة أنوئه من الخليج العربي خاصة في فصل الشتاء .

(١) الجواهر وصفاتها : ص ٥٥ .

(٢) الحلبي : سر الأسرار . ص ١٤ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . ط - دار صادر - بيروت - لم تذكر سنة الطبع . ص ١٠١ .

(٤) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٦٧ .

(٥) المغربي : لطف الأزهار . ص ٨٠ .

(٦) الحلبي : سر الأسرار . ص ١٦ .

(٧) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٦١ - ٦٥ بتصرف بسيط .

(٨) الجماهر في الجواهر : ص ٢٣٨ .

وقد يتفق في بعض المفاصات مانع من الفصوص كالحیوانات المؤذیة التي في مفاص
القلزم ^(١) - البحر الأحمر - فمن الحيوانات ما يلعب الفائص ، وما يقطعه نصفين وهو
القرش ^(٢) ، ومواضع السمك معروفة ، فلهم إذا صاروا في قرار البحر نباح مثل لباح الكلب
يفر منه السمك ^(٣) ، وقد ذكر ابن العربي قصة طريفة في هذا الشأن ، ففي خلافة المعتصم
بن هارون الرشيد ظهر يومئذ في بحر البحرين حوت ضخيم طول له نحو ميل أزعج البحر ثلاثة
أشهر ، وتعذر على السباحين في طلب اللائى ، واستناب مهنتهم ، وحين ذاك أرسل الله عز
وجل سمكة صغيرة خشت في أذن ذلك الحوت الكبير وفتكت به ، ثم جرفه الأمواج إلى
البر ، غير أن لحمه لم تكن تنضجه النار ، فجعل الأهالي ينشقونه في الشمس ويدقونه
ويأكلونه. ^(٤)

وهناك أمر أخير في طرق استخراج الأحجار الكريمة لا يمكن إغفاله ، وهو دور
الخلافة العباسية في الإشراف والمتابعة لعملية استخراج الأحجار الكريمة سواء البحرية منها أو
البرية .

فقد كان للصناعة نصيب كبير من عناية الخلفاء العباسيين الأوائل ، فاهتموا باستخراج
المعادن ^(٥) ، وكان في مقدمة هذه المعادن الجواهر ، والتي غزت في أيام بنى أمية وأوائل أيام دولة بنى
العباس حتى قالوا : إنه كان يعمل منها أوان ^(٦) . فقد كانت المعادن عندهم ضربين : ظاهرة ، وباطنة ،
فالمعادن الظاهرة ما كان جوهرها المستودع فيها بارزاً ، كمعادن الكحل والملح والقار والنقط ، فهذا
لا يجوز إقطاعها ، لأنها كالماء والناس فيه سواء يأخذ من ورد إليه ، وأما المعادن التي في باطن الأرض
فهي ما كان جوهرها مستكناً فيها ، فهذه كانت الحكومة تقطعها لمن يستخرجها ، ولها الخمس مما يخرج

^(١) ابن الإكفاني : نخب الذخائر . ص ٧ .

^(٢) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ٢٤٩ .

^(٣) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٤٠ .

^(٤) ابن العربي : تاريخ الزمان ، تعريب / إسحق أرملة . ط - دار المشرق - بيروت - لبنان سنة ١٩٩١ م . ص ٢٩ .

^(٥) د/ أمينة البيطار : تاريخ العصر العباسي . ط - منشورات جامعة دمشق - سوريا - الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٧ م . ص ٣٦٤ .

^(٦) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ١٢٩ .

منها .. ونظراً لسعة لدولة العباسية فقد كانت المناجم فيها عديدة ، منها الذهب والفضة والنحاس والزئبق والفيروز والزبرجد وغيرها .^(١)

كانت تجارة اللؤلؤ فى حد ذاتها من التجارات المهمة فى الدولة العباسية وكانت عملية الإشراف على غوص اللؤلؤ من الأمور التى ينص عليها عند تعيين الولاة على منطقة البحرين وباقي سواحل الخليج العربى ، وكانت عملية بيع اللؤلؤ بعد جمعه تتم بحضور الوالى وجمع كبير من التجار ، واعتاد بعض الحكام فى منطقة الخليج ، أن يقدموا للآلى الشئنة هدية خلفاء بنى العباس ، فى حين كان حكام الإحساء بالبحرين يأخذون نصف ما يستخرجه الفواصون من اللؤلؤ^(٢) وكان لسلطان المغرب فى مدينة جبل طارق المعروفة بالجزيرة الخضراء أمناء على ما يخرج منها من المرجان ، وما يلزم ما يخرج من هذا المعدن .^(٣)

أما الجبل الذى فيه ياقوت فى بلخشان فكان لصاحب بلخشان على هذا الجبل أمناء من عنده وحجاب ، فإذا أراد أحدهم أن يصعد إليه برسم أن يفتش عن هذا الياقوت ، أعطي فى اليوم والليلة مائة دينار من الذهب ، ثم يطلع برجاله فيحفرون فى وجه الجبل وجوانبه ، فمن أعطاه الله شيئاً لم يحفر أكثر من ذراع أو ذراعين طولاً وعرضاً ، ووجد من هذه الأحجار ما قيمته خمسمائة دينار وألف دينار ، ومن أعطاه الله وجد عشرة أحجار وأكثر وأقل ، وربما لم يجد شيئاً فخير يومه وليلته ، وربما يخرج بقيمة كرائه وربما لم يخرج شيئاً فيخير كرائه ، وقد استغنى فى هذا الجبل أقوام وافتقر آخرون ، وهذا الجبل تنبت فيه هذه الأحجار كما ينبت الذهب فى مكانه .^(٤)

(١) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى . ط - دار الهلال - القاهرة - لم تذكر سنة الطبع ج - ٢ ص ٩١ .

(٢) د/ محمود قمر : دور البحرين فى الملاحة البحرية من صدر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية . ط - دار عين -

القاهرة - الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧ م . ص ٦٩ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض . ص ٧٥ .

(٤) الزهرى : كتاب الجغرافية . ص ٦٢ .

ألوان الأحجار الكريمة

لقد كان من الطبيعي مع تعدد أسماء وأنواع الأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول ، أن تعدد ألوان هذه الأحجار ، فكان منها من له لون واحد ، ومنها من له ألوان متعددة ، ولاشك أن التميز بينها كان يحتاج إلى مهارة عالية سواء بالنسبة للتاجر أو المشتري في ذلك العصر .

بداية كانت هناك بعض الأحجار لها لون واحد فقط مثل المرجان فقد كان أحمر اللون ^(١) ، وحجر البجاذق وهو أحر اللون ^(٢) - أيضاً - وكذلك الزمرد جميعه أخضر مختلف الخضرة ^(٣) ، وكان غير الزبرجد - وهو الاسم المرادف للزمرد كما ذكر آنفاً - الشديد الخضرة الناضر الصافي النقي ^(٤) ، وكان حجر المكّي له لون واحد أيضاً وهو أخضر يشبه الزمرد ^(٥) ، والذهنج حجر أخضر ^(٦) أيضاً ، وكان الجمست حجر أبيض جبلي ^(٧) ، فكل هذه الأحجار الكريمة كان من السهولة بمكان التعرف عليها وتقدير قيمتها ، لأنها ذات لون واحد ، وكان الفارق بينها الشكل العام واللون المختلف ودرجة البريق .

كانت هناك أحجار كريمة لها لونين ، فقد كان حجر المادينج أحر يضرب إلى السواد ^(٨) ، وكان حجر الخماهن أحر بسواد ^(٩) ، وحجر البجاذق أحر يعلوه سواد يسير

(١) القزويني : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات . ص ١٥٦ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٤١ .

(٣) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٥٤ .

(٤) الجاحظ : التبصرة بالتجارة . تحقيق / حسن حسني التونسي . ط - مكتبة الخانجي - القاهرة - الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٤ م . ص ١٤ .

(٥) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٥٧ .

(٦) الخوارزمي : مفاتيح العلوم . تحقيق / فان فلوتن . ط - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ٢٠٠٤ م .

سلسلة الدخائر . ص ٢٦١ .

(٧) المصدر السابق : ص ٢٦٢ .

(٨) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٦٥ .

(٩) المغربي : قطف الأزهار . ص ٩٨ .

لا شعاع له ^(١) ، وكان خير حجر الماس البّوري الصافي الأبيض النقي ، ثم الأحمر ^(٢) ، وكان حجر الكرك أبيض ووردي ^(٣) ، ولون حجر الكركند أحمر في حمرة الياقوت الأحمر ، ومنه أحمر إلى الصّفرة ^(٤) ، وحجر الفيروزج أخضر مشوب بزرقة ^(٥) ، وهذه النوعية من الأحجار الكريمة كان من السهولة التعرف عليها كسابقتها من ذات اللون الواحد ، أما الأحجار الكريمة ذات الألوان الثلاثة ، فلم نثر في كتب المهتمين بالحدّث عن هذه الأحجار ، إلا على حجر واحد وهو البستد - أحد أنواع المرجان - وهو أصل المرجان منه أبيض ومنه أحمر ومنه أسود . ^(٦)

أما حجر الياقوت ذو الشهرة الذائعة في ذلك العصر فهو مختلف الألوان أحمر وأصفر وأخضر وأزرق ^(٧) ، وذكر الجاحظ بأن منه لون أبيض وهو دون هذه الألوان قيمة ^(٨) ، ولعل السبب في تعدد ألوان الياقوت يرجع إلى تعدد أنواعه وأشباهه .

هذا ولم يكن الياقوت هو الحجر الكريم الوحيد المتعدد الألوان ، فقد ماثله في هذه الخاصية حجر العقيق ^(٩) فهو خمسة أنواع : أزرق وأبيض وأسود وأحمر ورطبى ^(١٠) ، وكذلك حجر اليشب فهو أبيض وأصفر وأخضر فيه سواد ورمادي وزمردى وزيتي وهو أفضلها ^(١١) ،

(١) المصدر السابق : ص ٧٤ .

(٢) الجاحظ : التبصرة بالتجارة . ص ١٦ .

(٣) الحلبي : سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار . ص ٢٣ .

(٤) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٥٢ .

(٥) القزويني : عجائب المخلوقات . ص ١٥٢ .

(٦) المصدر السابق : ص ١٤١ .

(٧) المصدر السابق : ص ١٥٩ .

(٨) التبصرة بالتجارة : ص ١٣ .

(٩) أحسن أنواع العقيق ما اشتدت حمته وصفت صفته . القزويني : عجائب المخلوقات . ص ١٥١ .

(١٠) شيخ الربوة : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر . ص ٦٩ .

(١١) الحلبي : سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار . ص ١٧ .

وبماثلة حجر الجزع الذى ذكر القزويني عنه بأنه حجر ذو ألوان كثيرة ^(١) ، وذلك دون أن يحدد مسمى هذه الألوان ، وبما لاشك فيه أن تعدد ألوان هذه الأحجار الكريمة وتعدد الألوان بالنسبة للحجر الواحد كانت تقف عقبة خاصة أمام فئة مقتنيها ، وهذا بدوره قد أدى إلى ظهور عملية الغش والتدليس في بيع هذه الأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول ، وهو ما سوف تتناوله الدراسة في موضع آخر من هذا البحث .

أوزان الأحجار الكريمة

ذكر أنفأ بأن الأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول كانت ذات ألوان مختلفة ، بل إن الحجر الكريم ذاته كان متعدد الألوان ، لذا اختلفت أيضاً أوزان الأحجار الكريمة عند استخراجها من معادنها ومن أماكن تواجدها سواء في البحر أو البر .

كانت بعض هذه الأحجار تقاس وتوزن بالئن ، والئن مأخوذ من المناء الذى يوزن به ، ومقداره رطلان ، وهو يساوي عند الجمهور (٧٧٣,٥ جراماً) ^(٢) فكانت القطعة من حجر اللازورد تصل إلى من ^(٣) ، ونجى القطعة من حجر المادينج قدر من ^(٤) ، أما أوزان حجر الدهنج فتراوح ما بين عشرة أمناء وخمسة أمناء ومناء ^(٥) ، أى أن القطعة الواحد من حجر الدهنج قد تصل إلى ٧,٧٣٥ كيلو جرام .

ولم يكن الئن هو المقياس الوحيد الذى توزن به الأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول ، بل كان بعضها يوزن بالرطل خاصة الرطل البغدادي ^(٦) أو العراقي ، وهو يساوي

(١) القزويني : عجائب المخلوقات . ص ١٤٢ .

(٢) د/ علي جمعة : المكايل والموازين الشرعية . ص ٢٨ .

(٣) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٦٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ٦٥ .

(٥) المصدر السابق : ص ٦١ .

(٦) هناك أيضاً الرطل الشامي وهو يساوي عند الجمهور (١٧٨٥ جراماً) والرطل المصري ويقدر بـ (٤٤٩,٢٨ جراماً) . د/ علي جمعة : المكايل والموازين الشرعية . ص ٣٠ .

عند الجمهور (٣٨٢,٥ جراماً)^(١) ، فكان حجر البجادق توجد منه القطعة قدر الرطل البغدادي^(٢) ، وكان أكبر ما يرى من حجر الجمست قدر رطل .^(٣) غير أن أغلب الأحجار الكريمة المرتفعة الثمن فى ذلك العصر — كما سيرد ذكر أسعارها لاحقاً — كانت توزن بمقياس آخر هو المئقال ، والذي يساوي بموازينا المعاصرة ٥,٠٨٨ جرام^(٤) ، فحجر الياسب يحى منه ما يزن مئقالين^(٥) ، وحجر المكى يكون أكثره ثلاثة مئقال^(٦) ، ومثله حجر الكركند.^(٧)

أما الياقوت فتكون القطعة منه خمسة مئقال^(٨) ، ويوجد من الزمرد القطعة من خمسة مئقال إلى وزنة قيراط^(٩) وأقل^(١٠) ، وحجر الأفلوج يحى منه خمسة مئقال^(١١) ، أما حجر البجادى فتجى منه القطعة ما يزن عشرة مئقال^(١٢) ، أما حجر الفيروزج فتصل القطعة منه — أحياناً — إلى اثنين وعشرين مئقال ونصف^(١٣) ، أى نحو ١١٤,٤٨ جراماً .
وقد نص البيروني صراحة على أن الرسم فى اعتبار أوزان اللآلى هو بالمئقال^(١٤) ،

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢) المغربي : قطف الأزهار . ص ٨٤ .

(٣) المغربي : قطف الأزهار . ص ٩٢ .

(٤) د/ محمد عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية . ص ٥١١ .

(٥) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٥٦ .

(٦) المصدر السابق : ص ٥٧ .

(٧) المصدر السابق : ص ٥٢ .

(٨) المصدر السابق : ص ٤٥ .

(٩) القيراط : جزء من أجزاء الدينار ، ومقداره عند الجمهور يساوي (١,١٧٧١ جراماً) د/ علي جمعة : المكايل والموازين . ص ٢٣ .

(١٠) شيخ الربوة : نخبة الدهر . ص ٦٨ .

(١١) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٥٣ .

(١٢) المصدر السابق : ص ٦٤ .

(١٣) الجواهر وصفاتها : ص ٧٢ .

(١٤) الجماهر فى الجواهر : ص ٢١٤ .

وقد اختلفت أوزان اللؤلؤ بحسب اختلاف مكان الفوص عليه ففي مفاص حارك تخرج الواحدة وزن مثقال ونصف ^(١) ، أما العُماني فيقع فيه وزن مثقالين ^(٢) ، أما اللؤلؤ القلزمي — لؤلؤ البحر الأحمر — فوزن أكبره خمسة مثاقيل ^(٣) .

هذا وأحياناً لا تصل أوزان بعض الأحجار الكريمة إلى شئ يذكر ، لكنها ذات قيمة عالية برغم صغر وزنها مثل حجر الماس ، فغالباً ما يوجد منه قطعاً صغيرة بقدر الفلفل ولحوه ^(٤) ، وأحياناً ينتهي وزن الزمرد إلى حد العدسة فى المقدار ^(٥) .

صناعة وتشكيل الأحجار الكريمة

اشتهرت بغداد بالصاغة وبلغت صناعتهم باعاً طويلاً فى الدقة والجمال حتى إنهم كانوا يرصعون الزجاج بالجواهر ، ويكتبون عليه بالذهب ^(٦) ، فكان الصاغة وتجار الجواهر يتولون تصنيع هذه الأحجار الكريمة ^(٧) ، فهم أرباب صناعة وصياغة وتجارة أدوات وحلي الذهب والفضة ، ولحوهما من المعادن والجواهر الكريمة والنفيسة ، والصاغة : تطلق على مكان عملهم أيضاً ^(٨) .

بالاطلاع على قائمة الجواهر التى تملأ كنوز العباسيين فى بغداد أو الفاطميين فى القاهرة ، يمكن تكوين فكرة صحيحة عن مهارة الصناع المشتغلين بالذهب والفضة والأثاث والأنوس والجواهر وصانعي الأسلحة ... فكان الأمراء العرب يحبون الأثاث المصنوع من

(١) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٣٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٦ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٦ .

(٤) ابن الإكفاني : نخب الذخائر . ص ٦ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب . ج ٢ ص ٢٤ .

(٦) د/ أمينة البيطار : تاريخ العصر العباسي . ص ٣٦٧ .

(٧) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . ج ٤ ص ١٦٦ .

(٨) د/ محمد عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية . ص ٣٣٤ .

المعادن الثمينة " من ذهب وفضة " ومن الخشب الذكي الرائحة المزين بالأحجار الكريمة ^(١) .
يقول ابن خلدون ^(٢) : " الصنائع منها البسيط ومنها المركب ، والبسيط هو الذي يختص
بالضروريات ، والمركب هو الذي يكون للكماليات ، والمتقدم منها في التعليم هو البسيط
لبساطته أولاً ولأنه مختص بالضروري ... فإذا زخر بحر العمران وطلبت فيه الكمالات ، كان
من جملة التائق في الصنائع واستجادتها " . فقد تقدم فن الصاغة لزيادة الترف في المجتمع
وكان الخلفاء عادة هم السباقون في الترف . ^(٣) كان سوق الصاغة في بغداد متفرداً بجماعة
الفرس ، وقد بلغوا من الإجادة في صناعتهم الغاية بحيث يرصعون الزجاج بالجواهر ،
ويكتبون عليه بالذهب الجسم ويصنعون للملوك أقداحاً تقيّد الأبصار حسناً وإشراقاً ،
ويتخذون على الجامات صوراً يحكمون صناعتها بالرسم إلى مماثلة الحقائق . ^(٤)

وقبل الحديث عن صناعة الأحجار الكريمة وتشكيلها تفصيلاً ، يجب أن نذكر بأن
هناك حجراً لا غنى عنه في الاستخدام لتشكيل الغالبية العظمى من الأحجار الكريمة وهو
حجر السبذاج ، وهو حجر حديدي خشن الجسد فيه قوة وله سلطان على قطع الأحجار
والمعادن كلها إلا الياقوت ... وجميع الحكاكين للجواهر يستعملونه في الحك والجلاء . ^(٥)

(١) ف. هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى . جـ ١ ص ٥٧ .

(٢) مقدمة ابن خلدون : تحقيق د/ علي عبد الواحد وإي . ط — الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٦ م . جـ ٢
ص ٨٥٦ — ٨٥٨ .

(٣) د/ عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري . ط — مركز الوحدة العربية — بيروت
— لبنان — الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٥ م . ص ١٢٨ .

(٤) جميل المدور : تاريخ العراق في عصر العباسيين . ط — دار الآفاق العربية — القاهرة — الطبعة الأولى سنة
٢٠٠٣ م . ص ٢٥٣ .

(٥) شيخ الربوة : نخبة الدهر . ص ٧١ — ٧٢ .

أما عن صناعة وتشكيل اللؤلؤ ، فإن اللؤلؤ الدُّق وهو صغير الحجم أو غير تام النضوج فتكون عليه جلدة سوداء غليظة ، فتُحك تلك الجلدة بالمبرد ^(١) إلى أن يزول عنه السواد ^(٢) ، بعد ذلك يثقب هذا الحب ، لأنه يزداد بحسن التأليف في النظم حسناً ورونقاً وقيمة ، ويثقب بالماس . ^(٣)

ذلك أن جدوى الجواهر هو التزين بها ، وأكثر ذلك بالتعليق في بعض الأعضاء ، وذلك غير متأت إلا بالثقب فيه ... وإذا ثقت اللآلئ قليل لها مثاقيب ^(٤) أما عن مكان ثقب هذه اللآلئ وتشكيلها ، فإن معظم اللآلئ الواردة من الهند إلى البلاد المسيحية ، كانت تنقب في بغداد ^(٥) ، كان اللؤلؤ المنفخ يستعمل مع الجواهر في التيجان ^(٦) ويستعمل اللؤلؤ غير المثقوب في المعاجين وفي الأكحال ، ولا يستعمل فيه إلا مسحوقاً وتقصد صغار اللؤلؤ في ذلك دون الكبار لرخص الأثمان . ^(٧)

كان الصاغة في بغداد يصنعون من اللؤلؤ أشكالاً عده غير حُلِّي النساء ، فقد كان لدى الخليفة المأمون سبعة من الدر ... وكان لأم جعفر زبيدة زوجة الرشيد سبعة من الدر؛ كان سراؤها خمسين ألف دينار . ^(٨)

كان المرجان يُحك على حجر أصم ، ويجلي بالسنباذج المطحون بالماء في رحي ، ثم يلقى عليه السنباذج في تلك الرحي ، ويثقب بالحديد الفولاذ ، وإن ألقى في الخل إبيض ،

^(١) ببرد الحديد بالمبرد ونحوه من الجواهر يشرده : سحله — والمبرد هو الآلة المعروفة — ابن منظور : لسان العرب . مادة برد .

^(٢) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٢٧ .

^(٣) ابن الإكفاني : نخب الذخائر . ص ٨ .

^(٤) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ٢١٨ .

^(٥) ف. هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى . ج ٤ ص ١٥٧ .

^(٦) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٢٨ .

^(٧) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ٢١٨ — ٢١٩ .

^(٨) المصدر السابق : ص ٢٥٧ .

وإن ألقى فى الدهن رجع إليه لونه ^(١) ، فالمرجان لا إشراق له قبل جليه ولا لون ^(٢) ، كان جزء من ناتج هذه المغاصات للمرجان يبقى فى الغرب ، فيصنع منه جواهر متنوعة الأشكال ، ولكن هذا الجزء هو الأقل ، أما الباقي فيصدر ^(٣) ، أما عن مكان صناعة وتشكيل المرجان فذكر ابن الوردي بأن مدينة سبته بها شجر المرجان الذى لا يفوقه شئ حسناً وكثرة ، وبها سوق كبير لإصلاح المرجان . ^(٤)

بالنسبة لصناعة وتشكيل الياقوت فهو حجر صلب شديد اليبس رزين صاف ^(٥) ، وعلاجه بالنار بأن يؤخذ حصى من حصى تلك الجزيرة - جزيرة سرنديب - أو الأرض فيدق ويسحق بالماء حتى يلزم بعضه بعضاً ، ويطلق على ذلك الحجر حتى يغيىب فيه ، ثم يوضع على حجر ويحاط حوله حجارة ويلقى عليه الخطب ، ثم ينفخ عليه ما بين ساعة إلى عشرين يوماً وليلة ، لا يقطع فيه النفخ والنار على قدر ما فيه من السواد ، وذلك ببلاد الهند ، وقد يعالج بعضه ببلاد العرب ^(٦) وذلك قليل . ^(٧)

وبعد أن يجلى الياقوت ويحول ما به من سواد ، يثقب بالماس ^(٨) وذلك بأن تتركب منه قطعة فى طرف مثقاب حديد ثم يثقب به كما يثقب الخشب ^(٩) ، ولأشكال القصوص من

(١) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٥٩ .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم . ص ٢٣٩ .

(٣) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . ج ٤ ص ١١٢ .

(٤) خريدة العجائب : ص ١٦ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٢٤ .

(٦) ذكر يحيى بن ماسويه فى موضع آخر - وهو من رجالات العصر العباسى الأول - بأن حك الياقوت كان بالهند والعراق . انظر : الجواهر وصفاتها . ص ٤٥ .

(٧) المصدر السابق : ص ٤٤ - ٤٥ .

(٨) الياقوت بصلابته يغلب ما دونه من الأحجار ، ثم يغلبه الألماس فلا يقطعه غيره قطعاً وخدشاً لا كسراً . السيروني : الجماهر فى الجواهر . ص ١٢٢ .

(٩) الغزولي : مطالع البدور . ج ٢ ص ١٤٥ - ١٤٦ .

الياقوت أسماء عند الجوهريين فأولها المربع والمدور والمثمن^(١) والمسدس ، فهذه أشكال
الفصوص المعروفة ، وأفضل أشكالها المثمن .^(٢)

حجر الماس لا يلتصق بشئ من الأحجار إلا هشمه وكسره ، غير الأسرب^(٣) ،
فإنه إذا ضرب بالأسرب كسر الماس ، ولو جعلته ألف قطعة كان جميع قطاعه مثلبة ، وكلما
كان حجمه أكبر كان تأثيره أقوى^(٤) ، وأهل العراق وخراسان لا يفرقون بين ألوانه ؛ لأنهم
إنما يستعملونه في ثقب الجواهر خاصة^(٥) ، حيث يضعون منه قطعة في طرف المثقب ويثقبون
به الأحجار الصلبة والجواهر^(٦) ، كما يثقب به القوارير وينقش به أيضاً القوارير
والفصوص.^(٧)

ويتخذ منه الملوك فصوصاً لخواتم يلبسوها^(٨) ، وقد عدد البيروني استعمالات الماس
وطرق تشكيله وقد بناها على حسب لون الماس نفسه فقال عن ذلك^(٩) : " ما روى فيه
أبيض فهو المختار ، ويستصلح حلية السيوف والقلائد^(١٠) وترصيعها ، ولجميع الحلبي التي
يحلى بها أعالي البدن ، والذي يرى في ذلك أحر فهو صالح لتحلية المناطق وما مرجعه إلى
أواسط البدن ، والذي يرى فيه أصفر ، فلفصوص الخواتيم والأسورة والمعاضد ، والذي
يضرب إلى السواد فللخلاخيل وللأرجل " .

(١) المثمن : هو سطح يحيط به ثمانية أضلاع متساوية . د/ محمد عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية . ص ٥١٢ .

(٢) الحلبي : سر الأسرار . ص ٦ .

(٣) الأسرب : هو الرصاص — أو الآتك — ومن خواصه أنه يكسر الماس . الأبشيهي : المستطرف . ج ٢ ص ٣١٠ .

(٤) القزويني : عجائب المخلوقات . ص ١٥٥ — ١٥٦ .

(٥) ابن الإكفاني : تحب الذخائر . ص ٦ .

(٦) ابن الوردي : خريدة العجائب . ص ١٢٣ .

(٧) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٤٧ .

(٨) المسعودي : أخبار الزمان . ص ٥٠ .

(٩) الجماهر في الجواهر : ص ١٧١ — ١٧٢ .

(١٠) القلائد : جمع والمفرد قلادة ، أصلها كل ما يقتل ، ثم استعملت في كل ما يجعل حول العنق مفتولاً من خيط أو فضة
أو ذهب أو نحوهما من أنواع الحلبي . د/ محمد عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية . ص ٤٦٤ .

أما الزمرد فهو حجر لين رخو ، يكتلى إذا ورد على النار ^(١) ، فيعالج أولاً بالسنباذج على الأسرب ، ثم يجلى ^(٢) ، وقد ذكر المسعودي رواية تفيد بأن أماكن جليته وتشكيله كانت في مصر ، يقول في هذه الرواية ^(٣) : " إن الزمرد المستخرج من مصر تنبأه ملوك السند والهند والزنج والصين في استعماله ولباسه في تيجانها وأكاليها وخواتمها أسورها " . ويستفاد من هذه الرواية أيضاً أن الصاغة في مصر كانوا يستخدمون الزمرد في تزيين وترصيع التيجان والأكاليل والخواتم والأساور .

كان العقيق الهندي يؤتى به من قرية يقال لها بروص — أو بروج — يلتقط من أوديةها ، ثم يعمل له تنانير ، ويمد طريقتة — حجارة بعضها فوق بعض — منه ، وطريقة من اخشاء البقر ، فيفرش كذلك طريقة بعد طريقة ، حتى يملأ ، ثم يشعل فيه النار ، ويترك حتى يحترق الأخشاء ، ويكون فيه كذلك أياماً ، ثم يترك حتى يبرد ، فإذا برد أخرج وأحمل إلى البصرة حجارة جوهر غير معمول فيكسر ، وهو ما بين وزن درهم إلى رطل ، ثم يلقط بحديدتين ، ولقطه أن تقام له حديدة حادة الطرف ، فيوضع ما يراد كسره أو لقطه من الحجر على ذلك الطرف فيوضع ويضرب الحجر بمطرقة صغيرة فيقلع الموضع الذى يراد قلعه ، ويحك بعد ذلك على حجر ، ثم يحك على الأسرب بالسنباذج ، ثم يلين الأسرب والسنباذج ثم يجلى على خشب العشر بجلاء البلور . ^(٤)

أما العقيق البقراني — موضع في اليمن — فيجلب إلى البصرة ^(٥) قطع حجارة ، والحجر ما بين أربعة مثاقيل ونصف إلى العشرين رطلاً ، فما كان من كبار كسر ، ثم يجفف

(١) المسعودي : مروج الذهب . جـ ٢ ص ٢٤ .

(٢) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٥٥ .

(٣) مروج الذهب : جـ ٢ ص ٢٣ .

(٤) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٦٦ — ٦٧ .

(٥) ذكر ابن الفقيه بأن العقيق يعمل بعضه باليمن ويحمل بعضه إلى البصرة ، أى أن أماكن صناعته وتشكيله تختلف عن أماكن تواجده . انظر : مختصر كتاب البلدان : ص ٣٦ .

فى الشمس أياماً فى أشد ما يكون من حر الشمس ، ثم يسخن له التور — وهو كتور الخير — بغير الإبل ، وهو ما يسخن به ، أو يقصب أو بخشب ، حتى يحمر أشد ما يكون ، ثم يلقى فيه ما بين العشرة أرتال إلى العشرين رطلاً أكثره ، ويترك فيه يوماً وليلة حتى يبرد التور ، ثم يعمل فيه بمثل عمل الهندي ، وتبطن الفصوص من أسافلها .^(١)

أما عن استعمالات العقيق عموماً سواء كان هندي أو يمني ، فإنه إذا سحق وجلي به اليافوت حسنه وصيره مشرقاً نيراً^(٢) ، كما تنحت منه الموائد والقصاب والمشارب وأمثالها بأرض الترك ، وإذا راقت نقوشه عمل منها نصب السكاكين والخناجر^(٣) ، ويعمل منه أواني كبار وصغار ، حتى الخاتم والخزفة^(٤) والفص^(٥) ، وهذه الفصوص يعمل منها فصوص برسم — بشكل — الملوك والأعيان ولها أثمان كثيرة ، إذ يخلص الصانع منها كتابة تخالف لوفا أرضها ، ولا يكادون يتمكنون من الكتابة إلا من أن يكون وجه الفص غير مسطح .^(٦)

بالنسبة لحجر البَلُور فربما يعالج فيذوب كما يذوب الزجاج ، ويوجد البَلُور فى معادنه — مناجه — وعليه غشاء رقيق ، فإذا قشر عنه خرج كأنه لون الماء المقطر الصافي^(٧) ، ويخرط البَلُور والزجاج بالسنباذج^(٨) كما أنه يقبل الصيغ^(٩) ، أما عن أماكن صناعة البَلُور ، فيقول المغربي عن ذلك^(١٠) : " أخبرني بعض الحكاكين بمدينة الإسكندرية أنه يعالج البَلُور " ،

(١) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٦٨ — ٦٩ .

(٢) القزويني : عجائب المخلوقات . ص ١٤٢ .

(٣) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص ٢٨٥ .

(٤) الخرز : فصوص من حجارة واحداً خرزة ، وقيل الخرز : فصوص من جيد الجواهر ورديته من الحجارة ونحوه . ابن منظور : لسان العرب . مادة خرز .

(٥) شيخ الربوة : نخبه الدهر . ص ٦٩ .

(٦) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص ١٨ .

(٧) المغربي : قطف الأزهار . ص ٧٩ .

(٨) الرام هرمزي : عجائب الهند . ص ١٣٦ .

(٩) القزويني : مطالع البدور . ج ٢ ص ١٥٩ .

(١٠) قطف الأزهار : ص ٨٠ .

أى أن الإسكندرية كانت من المدن المهمة بصناعة وتشكيل البلّور ، وكان البلّور يجلب أيضاً من جزائر الزنج^(١) إلى البصرة ، ويتخذ بها منه الأواني وغيرها ، وفي موضع العمل هناك مقدر توضع عنده القطع الكبار والصغار فيروى فيها ويهندس أحسن ما يكون أن يعمل منها ، وأوفقه للنحت .^(٢)

كان يصنع منه الخواتم ، وبعض أنواع القناديل ، وبعض أدوات الزينة^(٣) لأن البلّور أنفس الجواهر التي تعمل منها الأواني لولا تبدّله^(٤) ، فيصنع منه كل عجب من الأواني^(٥) ، كما يجلب من كشمير^(٦) بلور إما قطاع غير منحوتة ، وإما منحوت منها أوانٍ وأقداح وتماثيل الشطرنج وكلاب الزرد وخرز بقدر البندق .^(٧)

كان حجر اللازورد يعمل كما يعمل العقيق ، ويجلى على المسن بماء^(٨) ، ويرد ويحك ويطحن ويستعمل في الأصباغ^(٩) ، والمطحون منه لا يحتاج إليه إلا في التزييق فقط^(١٠) ، ذكر ابن رسته أنه في بغداد مسجد جامع مبنى بالجنس والآجر مرفوع بأساطين الساج

^(١) جزائر الزنج : أو بحر الزنج هو بحر الهند بعينه ، وبلاد الزنج منه في نحو الجنوب ، تحت سهيل وله بر وجزائر كثيرة كبار واسعة . الحموي : معجم البلدان . جـ ١ ص ٣٤٣ . ربما يقصد بذلك جزيرة مقديشو أو بلاد سواحل أفريقيا الشرقية .

^(٢) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ٢٩٥ .

^(٣) د/ عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي . ص ١٢٨ .

^(٤) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ٢٩٤ .

^(٥) الفزولي : مطالع البدور . جـ ٢ ص ١٥٨ .

^(٦) كشمير : من قرى نيسابور — وهي كشمير الحالية اختلت من قبل الهند وجزء منها تابع لدولة باكستان — . الحموي : معجم البلدان . جـ ٤ ص ٤٦٣ .

^(٧) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ٢٩٥ .

^(٨) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٦٢ .

^(٩) الحلبي : سر الأسرار : ص ٢٣ .

^(١٠) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص ١٨ .

ومسقف بخشب الساج ، مزوق باللزورد ^(١) ، كما يتخذ من اللزورد أيضاً الخرز ^(٢) ،
ويعمل منه فصوص الخواقم . ^(٣)

أما الفيرزوج فإن حجره يعمل المبرد فيه ، ولا يتغير فى النار والماء الجار . ^(٤) ويعمل
منه فصوص ^(٥) ، وأهل العراق يؤثرون منه المسوح ، أما أهل خراسان والهند فإنهم
يستحبون القنب المدور الشبيه بحبة العنب ^(٦) ، ولاشك أن هذه الأشكال السالفة الذكر إنما
تدل على مدى دقة ومهارة الصناع وقدرتهم الفنية على تعدد هذه الأشكال لإرضاء جميع
الأذواق .

وبالنسبة لبقية الأحجار الكريمة الغير مشهورة فى الاستعمال بين الناس فى ذلك
الوقت فإن الغالب فى عملية صنعائها هو الجلي ، فجلى حجر الكركند كجلي الياقوت ، إلا
الذى لا يقبل الجلاء ^(٧) ، وحجر المكى علاجه علاج الزمرد ، لكن لا يكون جلاؤه كجلي
الزمرد ^(٨) ، والجمست يقطع ويحك كما يفعل بسائر الحجارة الشفافة كالزمرد وغيره ^(٩) ،
والكرك أيضاً حجر أبيض شديد البياض قابل لشي من الجلاء ... أما حجر الخماهن فجلاؤه
بالسبازج اغرق ، فإن غير اغرق منه لا يجلو الخماهن . ^(١٠)

(١) ابن رسته : الأعلاق النفيسة . ط - دار صادر - بيروت - لم تذكر سنة الطبع . ص ١٩ .

(٢) الخوارزمي : مفاتيح العلوم . ص ٢٦١ .

(٣) الحموي : معجم البلدان . ج ١ ص ٣٦٠ .

(٤) الجاحظ : التبصر بالتجارة . ص ١٤ - ١٥ .

(٥) ابن الوردي : خريدة العجائب . ص ١٥٤ . بتصرف بسيط .

(٦) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص ٢٧٧ .

(٧) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفافها . ص ٥٢ .

(٨) المصدر السابق : ص ٥٨ .

(٩) المغربي : قطف الأزهار . ص ٩٢ .

(١٠) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص ٣٥٣ .

كانت هذه الأحجار الكريمة الثانوية أو الغير مشهورة وغيرها من الأحجار الأخرى لها استعمالات عديدة أيضاً ، فكان حجر العنبري يتخذ منه الملوك أواني^(١) ، وحجر الدهنج يعمل منه الأجاوين — نوع من الأواني — والأخاوين — وهو ما يؤكل عليه الطعام — وما أشبه ذلك^(٢) ، كما كان يتخذ من الدهنج أيضاً الفصوص والخرز^(٣) ، ويعمل من حجر اليشم الخواتيم ونصب السكاكين .^(٤)

من خلال هذا العرض السابق لصناعة وتشكيل الأحجار الكريمة فى العصر العباسى الأول ، يتضح أن الدولة العباسية لم تقيم بتشجيع الناس على استخراج الأحجار الكريمة من مناجمها فقط ، بل كانت تعمل على تشجيع الصاغة وأرباب صناعتها على تشكيل هذه الأحجار الكريمة فى قطع فنية رائعة ، وقد تمثلت مظاهر هذا التشجيع فى شراء الخلفاء وكبار رجالات الدولة لهذه القطع الفنية بجميع أشكالها وصورها بمبالغ باهظة — سيذكر ذلك لاحقاً فى هذه الدراسة — مما شجع هؤلاء الصاغة على الإبداع وإخراج كل طاقاتهم الفنية فى هذه الأحجار الكريمة .

أسعار الأحجار الكريمة فى العصر العباسى الأول

إن قيمة الجواهر ليس لها قانون ثابت على حال ، بل تتغير باختلاف الأمكنة ومضى الأزمنة^(٥) ، كما أن الجوهر يحتل الزيادة فى السوم سيما عند حضور الراغب^(٦) ، أى أن أسعار الأحجار الكريمة فى العصر العباسى الأول كانت تختلف من بلد إلى بلد فى أمصار الخلافة ، كما أنها كانت تختلف فى الأسعار حسب الاختلاف فى الأوزان ، ومدى جودة الحجر الكريم ذاته ، وكذلك درجة إقبال الراغبين فى شراؤه أيضاً .

(١) القزويني : عجائب المخلوقات . ص ١٥٢ .

(٢) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٦١ .

(٣) الخوارزمي : مفاتيح العلوم . ص ٢٦١ .

(٤) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ٣١٧ .

(٥) الحلبي : سر الأسرار . ص ١٠ .

(٦) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص ١٨ .

إن المرجان مثلاً تختلف قيمته في الكساد والقلّة والكثرة اختلافاً متفاوتاً وقيّمته المتوسطة بديار مصر والشام^(١) ، فكان من الطبيعي أن تكون أسعاره متوسطة في مصر وبلاد الشام خاصة ، وذلك لقرّبهما من أماكن تواجده واستخراجه وهي بلاد المغرب الإسلامي ، وقد أكد على ذلك الدمشقي بقوله^(٢) : قيمة المرجان بالشرق غير قيمته بالمغرب ، وذلك لأجل القرب من المعادن — المناجم — . وكانت بلاد الهند في كل الأزمان موطن أئمن أنواع الأحجار الكريمة .^(٣)

هذا وإذا كانت الدراسة قد ذكرت الأحجار الكريمة آنفاً حسب أهميتها ودرجة انتشارها في بلدان الخلافة العباسية ، فإن المقام الآن يستوجب الحديث عنها حسب الأغلى ثمناً ثم الأرخص فالأرخص .

يأتي في مقدمة الأحجار الكريمة الأغلى ثمناً في العصر العباسي الأول حجر اللؤلؤ ، وخير اللؤلؤ الصافي العُماني المستوي الجسد الشديد السطح والاستواء .. والعماني أنفس وأرفع من القلزمي — لؤلؤ البحر الأحمر — لأن العماني عذب نقي صافي والقلزمي فيه ملوحة مع عيب كثير^(٤) ، وهناك اللؤلؤ الذي يقال له اللويفي — نسبة إلى بلدة في الصين — قد يبلغ مائة ألف دينار ... واللؤلؤ القلزمي أكثر ما يبلغ ثمنه ثلاثين ألف دينار ، وهناك لؤلؤة تبلغ وزنها مثقال ونصف ، تباع بعشرة آلاف دينار ، وهناك لؤلؤ يستخرج من الصين يبلغ وزن أكبره مثقالاً وأكثر ثمنه ألف دينار .

(١) الإشارة إلى محاسن التجارة : ص ١٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٠ .

(٣) ف. هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى . ج ٤ ص ١٦١ .

(٤) الجاحظ : البصرة بالتجارة . ص ١٢ .

أما اللؤلؤة الصلبة الشبيهة بالعظم والتي تزن ما بين دانق^(١) إلى خمسة مثاقيل يبلغ أكبرها ألف دينار ، وهناك من اللؤلؤ الجيد تساوي الحبة منه مائة دينار ، أما الأصداق الميتة المتشققة على السواحل فيخرج منها حبة حسنة مثمثة تبلغ عشرة دنانير .^(٢)

أما عن أسعار الياقوت فى الدولة العباسية فإذا كان وزنه سدس مثقال ثلاثون ديناراً أو ثلث مثقال مائة وعشرون ديناراً ، أو نصف مثقال أربعمائة دينار والمثقال بألف دينار ، ومثقال ونصف بألفى دينار هذا ما تقرر فى أيام المأمون مع كثرة الجواهر فى ذلك الزمان^(٣) ، فارتفاع قيمته على قدر كبره وصغره^(٤) هذا بالنسبة للياقوت الأحمر ، أما باقي ألوان الياقوت فكثيرة الوجود ، وهي رخيصة وأثمانها معروفة عند أهل الخبرة بها فى سائر البلاد .^(٥) أما أغلى الأحجار الكريمة ثناً بعد اللؤلؤ والياقوت فى العصر العباسى الأول — على الرغم من عدم انتشاره وأهميته — فكان حجر الكركند ، كان ثمنه يبلغ فى أيام المهدي خمسة آلاف درهم ، وكان المعارض له فيه عون العبادي^(٦) أحد الجوهريين فى العصر العباسى الأول.

على الرغم من أن الألماس يعد من أغلى الأحجار الكريمة فى الوقت الحالى ، إلا أنه كان رخيص الثمن فى العصر العباسى الأول وسعره الذى ذكرته المصادر التاريخية لا يتوافق مع ما له من شهرة فى الماضى والحاضر ، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى كثرة ذلك العصر تماشياً مع رواية الحلبي الآتفة الذكر بأن الجواهر كانت كثيرة خاصة فى عصر الخليفة المأمون ، وإما لأنه كان شبيهاً بالزجاج والبلور ، لذا كان الإقبال عليه ضعيفاً ، لذا أثر ذلك سلباً على سعره فى العصر العباسى الأول .

(١) الدانق : لفظ معرب مأخوذ عن اليونانية ، ومقداره سدس درهم ، وهو يساوي عند الجمهور (٠,٤٩٦ جراماً) .

د/ علي جمعة : المكايل والموازين الشرعية . ص ٢٤ .

(٢) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٣٢ — ٣٧ . بتصرف بسيط .

(٣) الحلبي : سر الأسرار . ص ١٠ .

(٤) الجاحظ : النضر بالتجارة . ص ١٣ .

(٥) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص ١٤ .

(٦) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٥٢ .

يقع الماس الجيد من الذى له شعاع قليل فى العراق ، فيبلغ خمسين ديناراً والذى للعمل يبلغ المثقال منه ثلاثين ديناراً على قدر عزته وكثرته .^(١)

أما الفيروزج فيبلغ حجره خمسين ديناراً^(٢) ، أى أن سعر الماس والفيروزج يكاد أن يكون سعراً موحداً ، أما حجر البيجادى فكلما كان أصلب وأكبر كان أنفـس وأثـن^(٣) ، ويكون بعشرة دنائير إلى نصف دينار^(٤) ، وحجر العقيق اليماني الشديد الحمرة الذى يرى فى وجهه شبه الخطوط ، فكلما كان أصفى وأضوأ كان أجود فى الثمن^(٥) ، ويبلغ حجره الدينار والخمسة دنائير^(٦) ، والزمرد الذى يعرف بالمر ، هو أجودها وأغلاها ثمناً^(٧) ، وقيمتـه تختلف بحسب طلبـه وأغراضهم فى أشكاله ، فمنهم من يرغب فى الفصوص منه ، ومنهم من لا يريد إلا القضيـب ، وكذلك تختلف إرادتهم فى أشكال الفصوص^(٨) ، وياع الحجر من الزمرد بخمسة دنائير إلى دينار^(٩) أى أن سعره أيضاً متوافقاً مع سعر العقيق اليماني .

أما المرجان — أو البسند — فبياع وزناً ما بين المثقال بدينار إلى مائة مثقال بدينار ، على قدر جوهره^(١٠) ، وحجر الياسب يساوي الحجر منه دينار إلى ثلث دينار ، وحجر المكى يساوي نصف دينار إلى سدس دينار^(١١) ، والخمـاهـن والكرك حـجـران لا تكاد تكون

(١) الجواهر وصفاقاً : ص ٤٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ٧٢ .

(٣) الجاحظ : التبصر بالتجارة . ص ١٥ .

(٤) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاقاً . ص ٦٤ .

(٥) الجاحظ : التبصر بالتجارة . ص ١٥ .

(٦) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاقاً . ص ٦٧ .

(٧) المسعودي : مروج الذهب . ج ٢ ص ٢٣ .

(٨) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص ١٥ .

(٩) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاقاً . ص ٥٥ .

(١٠) المصدر السابق : ص ٥٩ .

(١١) المصدر السابق : ص ٥٦ — ٥٧ .

لهما قيمة إلا كقيمة الخرز .^(١)

هذا والجدول الآتى يوضح أسعار الأحجار الكريمة جملة فى العصر العباسى الأول
حسبما جاء سعر بعضها فى المصادر التاريخية .

م	الحجر الكريم	متوسط سعر البيع	ملاحظات
١.	اللؤلؤ اللوفى	١٠٠ ألف دينار	
٢.	اللؤلؤ القلزمى	٣٠ ألف دينار	
٣.	اللؤلؤ العادى	١٠ آلاف دينار	
٤.	اللؤلؤ الصفى	ألف دينار	
٥.	اللؤلؤة الصلبة	ألف دينار	
٦.	اللؤلؤ الجيد	مائة دينار	
٧.	لؤلؤ الأصداى المينة	عشرة دنانير	
٨.	الياقوت (سدس) مثقال	٣٠ دينار	يعادل (٠,٨٤٨ جرام)
٩.	الياقوت (ثلث) مثقال	١٢٠ دينار	يعادل (١,٦٩٦ جرام)
١٠.	الياقوت (نصف) مثقال	٤٠٠ دينار	يعادل (٢,٥٤٤ جرام)
١١.	الياقوت مثقال	ألف دينار	يعادل (٥,٠٨٨ جرام)
١٢.	الياقوت مثقال ونصف	ألفين دينار	يعادل (٧,٦٣٢ جرام)
١٣.	الكرند	٥ آلاف درهم	
١٤.	الماس الشعاع	٥٠ دينار	

^(١) البيرونى : الجماهر فى الجواهر . ص ٣٥١ .

١٥.	الماس للعمل	٣٠ دينار
١٦.	الفروزج	٥٠ دينار
١٧.	البجاذي	١٠ دنائير إلى نصف دينار
١٨.	المقيق اليماني	٥ دنائير إلى نصف دينار
١٩.	الزمرد	٥ دنائير إلى دينار
٢٠.	المرجان	دينار
٢١.	الياسب	دينار إلى ثلث دينار
٢٢.	المكى	نصف دينار إلى سدس دينار
٢٣.	الحماهن	لا يكاد يساوي شئ
٢٤.	الكرك	لا يكاد يساوي شئ

تجارة الأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول

التجارة محاولة الكسب بتمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أياما كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش، وذلك القدر النامي يسمى ربحاً^(١). لما توفرت في أيدي الناس الأموال بما كسبوا من الفتوح العظام، تحولت طباعهم من الخشونة إلى نعومة العيش، وأخذوا يتأثلون الكسب ويطلبون حاجات الترف من جميع البلدان بما تيسر لهم من أسباب الاتصال في زمن الخلفاء، فحملوا تجارة الدنيا إلى العراق، فحملوا من الهند آنيها، ومن عيذاب الآلى ومن سرنديب اليواقيت وأشباهها والماس والدر والسبذاج الذي يعالج به الجوهر ومن البحر الغربي المرجان^(٢).

(١) ابن خلدون: المقدمة. ج ٢ ص ٨٤٩.

(٢) جيل المدور: تاريخ العراق في عصر العباسيين. ص ١١٦ - ١١٧.

كانت ممارسة مهنة التجارة من أهم الأسباب التى شجعت العرب المسلمين على السفر إلى الهند والصين وبلدان أوربية وإفريقية ، وجلب المزيد من البضائع الثمينة والنادرة مثل الحرير والقطن والتوابل والعطور والمعادن ^(١) ، ولما قامت الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م اهتم الخلفاء العباسيون بالتجارة وشجعوا الرحلات البرية والبحرية إلى البلدان الأجنبية وخاصة بلدان الشرق الأقصى ، الأمر الذى أدى إلى ازدياد الرحلات إلى الهند والصين ، وقد شهدت الرحلات فى الدولة العباسية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين نشاطاً بارزاً وذلك حين ولد عند العرب المسلمين علم جديد يسمى بعلم الجغرافيا . ^(٢)

اجتمعت كل الظروف والأحوال التى تشجع ازدهار التجارة فى العصر الذى ارتقى فيه العباسيون الأوائل عرش الخلافة ، فأعطوا التجارة حافزاً قوياً ، إما بطريق غير مباشر ، بحياة الترف التى كانوا يعيشونها فى بلاطهم ، وإما بطريق مباشر ببناء الطرق ، وتشبيدهم مدينة فى قلب دولتهم — بغداد — أمست مهيةً بحكم موقعها المختار الملائم كل الملاءمة لأن تكون سوقاً فى الدرجة الأولى من الأهلية . ^(٣)

فقد فاضت فى المدن الإسلامية ينابيع الثروة الإسلامية ، وعاش الناس فى الرخاء والرغد بجوار الخليفة ورجال دولته ، ينالون جوائزهم وهداياهم ، ويبيعونهم السلع والجواهر والأقمشة وما إليها . ^(٤) حُكى أن رجلاً خرج من عمان ولا شئ معه ، وعاد معه مركب به مسك بألف ألف دينار ، وثياب حرير وصيني بمثلها ، وجواهر وأحجار ظريفة بمثلها . ^(٥)

(١) سليمان التاجر : عجائب الدنيا . ص ٧ . مقدمة التحقيق .

(٢) المصدر السابق : ص ٨ . مقدمة التحقيق .

(٣) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . ج ١ ص ٤٣ .

(٤) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى . ج ٢ ص ١٧٢ .

(٥) الرام هرمزي : عجائب الهند . ص ٨١ .

هذا ويمكن تقسيم عملية التجارة في الأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول إلى

النقاط الآتية :

١- الاستيراد .

ذكر آنفاً بأن الأحجار الكريمة لم تكن جميعها متوفرة في بلدان الخلافة العباسية ، بل كان بعضها متواجداً في البلدان المجاورة ، لذا دعت الحاجة إلى جلب هذه الجواهر إلى دولة الخلافة ، سواء في صورة مادة خام ، أو تم تصنيعها في موطنها الأصلي ، وهو ما يمكن أن يطلق عليه لفظ الاستيراد ، وهو أمر يتطلب العديد من التجار المهرة للقيام به ، لتغطية الطلب المتزايد عليها في العصر العباسي الأول ، وكان أغلب هذه الجواهر المستوردة يتم جلبها من بلاد الشرق .

كان يجي من البحر الشرقي من الصين ومن سرنديب ، الياقوت بألوانه كلها وأشباهه ، والماس والدر والبلّور والسبذاج الذي يعالج به الجواهر .^(١) وكان الياقوت الأحمر يجلب من الهند^(٢) ، وكان ملوك إقليم بذخشان يحتفظون لأنفسهم بالحق المطلق في التصرف في محصول الياقوت الأحمر ، ولا يتركون للتجارة إلا مقادير صغيرة منها ، وهي طريقة ممتازة للحفاظ على سعر مرتفع لها ، ومن ثم كانت هذه التجارة الكريمة نادرة للغاية ومطلوبة بشدة.^(٣)

وكان يؤتى من الهند بحجر الكرك^(٤) ، ومن سرنديب بحجر الأفلوج^(٥) وكان تجار العراق يتاجرون مع جزيرة سيلان ، فيشترون منها الأحجار وخاصة العقيق^(٦) على الرغم

(١) ابن خردادبه : المسالك والممالك . ص ٧٠ .

(٢) الجاحظ : البصر بالتجارة . ص ٢٥ .

(٣) ف. هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى . ج ٤ ص ١٦١ .

(٤) الحلبي : سر الأسرار . ص ٤٦ .

(٥) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٥٣ .

(٦) د/ عبد العزيز الدوردي : تاريخ العراق الاقتصادي . ص ١٧٠ .

من أنه كان متوفراً في بلاد اليمن السعيد كما ذكر آنفاً .

أما اللازورد فكان يحمل إلى أرض العرب من أرمينية ، وإلى خراسان والعراق من بدخشان ^(١) ، وحجر الكركند وحجر المادينج كان يؤتى بهما من سندان ^(٢) ، وكذلك حجر المكى كان يؤتى به من بلاد الهند مما يلي سندان ^(٣) ، وكان زمرد ساحل الهند الشرقي ينتقل إلى المغرب عن طريق عدن ومكة ، وكان بالمقابل زمرد مصر العليا وناب الفيل من الحبشة يطلب من أمراء الشرق الأقصى . ^(٤)

ويحمل من أرض الهند نوع من الزمرد يلحق في النور والخضرة والشعاع الزمرد المصري ، إلا أنه حجر صلب ، ولا يفرق بين هذا النوع الخمول من أرض الهند وبين الأنواع الأربعة — المستخرجة من مصر — إلا ذو دراية فطن أو ماهر فيه ، وهذا النوع الهندي يعرفه أصحاب الجواهر بالمكي ؛ لأنه يحمل من أرض الهند إلى بلاد عدن وغيرها من سواحل اليمن ، ويؤتى به مكة . ^(٥)

٢- التصدير .

لم تكن عملية التجارة في الأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول تقوم على الاستيراد من خارج حدود الدولة العباسية فقط ، بل كانت التجارة فيها تقوم على تصديرها أيضاً إلى الخارج ، هذا فضلاً عن تصديرها وتبادل التجارة فيها في الأقاليم الداخلية للدولة العباسية .

كانت لآلئ الخليج الفارسي تحتل المكانة الأولى في السوق الأوروبية . ^(٥)

(١) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ٣١١ .

(٢) سندان : مدينة ملاصقة للسند بينها وبين الديبل — في باكستان حالياً — . الحموي : معجم البلدان . ج ٣ ص ٢٦٧ .

(٣) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٥٢ — ٦٥ . يتصرف بسيط .

(٤) د/ أمينة البيطار : تاريخ العصر العباسي . ص ٣٧٣ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب . ج ٢ ص ٢٥ .

(٥) ف. هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى . ج ٤ ص ١٥٧ .

وكان الزبرجد الفائق يجلب من مصر ^(١) ، ويحمل منها إلى سائر الدنيا ^(٢) فهناك نوع من الزمرد الذى يستخرج من مصر يعرف بالبحري ، ومعنى هذه التسمية هو أن ملوك البحر من السند والهند والزنيج والصين ترغب فى هذا النوع من الزمرد ^(٣) ، فقد كان يحمل إلى الهند الزمرد الذى يرد من مصر مُركباً فى الخواتم مصوناً فى الحقائق ^(٤) ، أى أنه لم يكن يتم تصديره إلى الهند كمادة خام ، بل كمادة مصنعة ومحفوظة فى حقائق أيضاً .

هناك نوع آخر من الزمرد المستخرج من مصر يعرف بالمغربي ، ومعنى هذه التسمية ، وإضافتهم إياه إلى المغرب هو أن ملوك المغرب من الإفرنجية والأندلس والصقالبة والروس يتنافسون فى هذا النوع من الزمرد ^(٥) ، وأموال هذا المعدن تقع إلى مصر ^(٦) ، أى أن العائد المادي من عملية التصدير هذه فى الشرق والغرب كان ينتفع به تجار مصر .

أما الفيروزج فكان منجمه فى جبل نيسابور ، ومنه يحمل إلى سائر البلاد ^(٧) ، ويتحف به الملوك والسادات ^(٨) ، وتحدث الإصطخرى عن أنواع التجارات التى تخرج من بلاد المغرب الإسلامى فذكر منها الخندم والجواري واللّبود المغربية والمرجان ^(٩) ، فقد كان البُسْد — المرجان — يحمل إلى الهند ^(١٠) حيث كان المرجان مطلوباً بالأخص فى جنوب آسيا حيث يباع بأسعار مرتفعة للغاية ، إذ كان يصدر إلى الهند والهند الصينية حوالي ثلثى

(١) الجاحظ : التبعثر بالتجارة . ص ٢٧ .

(٢) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد . ص ١٨ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب . ج ٢ ص ٢٣ .

(٤) السيرافي : رحلة السيرافي . ص ٩٤ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب . ج ٢ ص ٢٣ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض . ص ٥٠ .

(٧) الغزولي : مطالع البدر . ج ٢ ص ١٥٦ .

(٨) ابن الوردي : خريدة العجائب . ص ١٥٤ .

(٩) الإصطخرى : مسالك الممالك . ص ٤٥ .

(١٠) السيرافي : رحلة السيرافي . ص ٩٤ .

محصول منطقة البحر المتوسط ... فقد كان المرجان سلعة عند العرب يمكن تصديرها دون خوف إلى الهند والصين .^(١)

وكان اللازورد يرتفع من بلخشان^(٢) ويؤتى به من بلاد العراق وهمذان وبلاد الموصل^(٣) ، وكان " لازورد بغداد " شائعاً جداً فى تجارة العصور الوسطى^(٤) .

أما حجر الجمست فكان يجلب من قرية يقال لها الصفراء^(٥) ، على مسيرة ثلاثة أيام من مدينة الرسول ﷺ^(٥) ، ومعنى يجلب أى يستورد من هذه القرية الحجازية إلى بقية بلدان الخلافة العباسية، وربما كان يصدر إلى خارجها .

٣- أسواق الأحجار الكريمة .

لاشك أن عملية الاستيراد والتصدير للأحجار الكريمة فى العصر العباسى الأول ، لم تكن تتم مصادفة أو جُزأً ، بل لابد من وجود أسواق لها يستطيع التجار من خلالها إبرام عملية الشراء والبيع سواء فى الاستيراد أو التصدير ، وأن هذه الأسواق كانت متعددة أيضاً بتعدد مواطن وجود الأحجار الكريمة ذاتها .

إن الأسواق الرئيسية التى تمارس فيها تجارة الأحجار الكريمة من الشرق إلى الغرب، نجدتها فى فارس وهرمز وشيراز وتبريز والسلطانية وبغداد وحلب ودمشق والإسكندرية والقاهرة^(٦) .

(١) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . ج٤ ص ١١٢ .

(٢) الإصطخرى : مسالك الممالك . ص ٢٧٩ .

(٣) الحلبي : سر الأسرار . ص ٤٦ .

(٤) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . ج٤ ص ١٦٠ .

(٥) الصفراء : وادي من ناحية المدينة المنورة ، وهو واد كثير النخل والزروع والخير ، فى طريق الحاج ، وسلكه رسول الله ﷺ غير مرة . الحموي : معجم البلدان . ج٢ ص ٤١٢ .

(٥) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٧١ .

(٦) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . ج٤ ص ١٦٥ .

كما لعبت دارين^(١) دوراً مهماً إبان ازدهار تجارة اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي ، حيث كانت مركزاً تجارياً مهماً من مراكز التجارة التي كان يقصدها تجار اللؤلؤ بقصد البيع والشراء ، كما كانت تقصدها سفن الغوص على اللؤلؤ ، للتزود بالمياه والمؤن والعتاد^(٢) ، وكانت تؤام مدينة من مدن عمان يقع إليها اللؤلؤ فيشتري من هنالك .^(٣) وكانت جزيرة قيس في بحر فارس مرفأً مراكب الهند والفرس ومقلب التجارة ومتجر العرب والمعجم ، يجلب منها كل أعجوبة وقعت في بلاد الهند.^(٤)

وكانت عدن مرفأً مراكب الهند وبلدة التجار ومرايح الهند ، لهذا يجتمع إليها الناس ويحمل إليها متاع الهند والسند والصين والحبشة وفارس والعراق^(٥) فقد كان الانتقال بالطرق البرية قليلاً بالنسبة إلى حركة الملاحة الكبرى بين البلاد العربية والهند والصين .^(٦)

أما عن أسواق بيع وشراء المرجان ، فبعد أن يغوص التجار على المرجان منهم من يخرج عشرة آلاف إلى عشرة دراهم ، ثم يجلي في أسواق هم ويبيع جزافاً رخيصاً^(٧) ، فقد كان للتجار في مدينة جبل طارق — الجزيرة الخضراء — أموال كثيرة من أقطار النواحي عند سماسة وقوف لبيع المرجان وشراءه .^(٨)

وكان من عجائب مدينة حلب ، سوق الزجاج ، فإن الإنسان إذا اجتاز بها لا يريد أن يفارقها ، لكثرة ما يرى فيها من الطرائف العجيبة والآلات اللطيفة تحمل إلى سائر البلاد

(١) دارين : قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دارا ونصيبين ، كان فتحها سنة ١٩هـ . الحموي : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٩ .

(٢) د/ محمود قمر : دور البحرين في الملاحة والتجارة البحرية . ص ٤٥ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب . مادة تؤام .

(٤) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد . ص ٢٤٣ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٠١ .

(٦) ف. هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى . ج ١ ص ٥٣ .

(٧) المقدسي : أحسن التقاسيم . ص ٢٣٩ .

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض . ص ٧٥ .

للتحف والهدايا ، وكذلك سوق المزوقين ففيها آلات عجيبة مزوقة ^(١) ، وكان يصحب القوافل اليونانية الذاهبة إلى مدينة حلب ، حراسة كافية لضمان أمنها حتى تصل إلى المدينة ، وكانت هناك قواعد تحدد العشور "الرسوم" التي تفرض على البضائع ، وفي قائمة هذه البضائع ، الذهب والفضة والمنسوجات الحريرية اليونانية والأحجار الكريمة والآلات ^(٢) .

وقد كثرت ثروة البصرة في أيام العباسيين لاجتماع التجار فيها ، وتجارهم تمتد شرقاً إلى الهند والصين ، وغرباً إلى أقصى بلاد المغرب ، وجنوباً إلى الحبشة ، وكانت السفن ترسو في مينائها وتحمل أصناف التجارات ، وتكاثرت الثروة فيها بتكاثر الناس القادمين إليها للإتجار أو الإقامة ^(٣) ، وقد أورد السيرافي في رحلته رواية طريفة تؤكد على أن مدينة البصرة في العصر العباسي الأول كانت من أهم أسواق الأحجار الكريمة في بلاد العراق ، خاصة تجارة اللؤلؤ ربما يكون ذلك راجعاً إلى قربها من عاصمة الخلافة العباسية بغداد موطن الثروات حينئذ ، يقول السيرافي عن ذلك ^(٤) : " إن أعرابياً ورد البصرة في قديم الأيام ومعه حبة لؤلؤ تساوي جملة مال فصار بها إلى عطار كان يألفه فأظهرها له وسأله عنها وهو لا يعرف مقدارها فأخبره أنها لؤلؤة ، فقال : وما قيمتها قال مائة درهم فاستكثر الأعرابي ذاك وقال : هل أحد يبتاعها مني بما قلت ، فدفع له العطار مائة درهم فابتاع بها ميرة لأهله ، وأخذ العطار الحبة فقصدها مدينة السلام - بغداد - فباعها بجملة من المال واتسع العطار في تجارتها " .

كانت بغداد تجب إليها لطائف الدنيا وظرائف العالم ، إذ ما من متاع ثمين ولا عرض نفيس إلا ويحمل إليها ، فهي مجمع لطيبات الدنيا ومحاسنها ^(٥) . وكان الحلي التجاري

(١) القزويني : آثار البلاد . ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢) ف. هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى . ج ١ ص ٦١ .

(٣) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي . ج ٢ ص ١٧٧ .

(٤) رحلة السيرافي : ص ٩١ - ٩٢ .

(٥) القزويني : آثار البلاد . ص ٣١٥ .

الرئيسي في بغداد في الجانب الشرقي ، وكانت سوق الصاغة في بناية فخمة .^(١)
وقد حافظ الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الأول على استقرار أوضاع
الأسواق التجارية في بغداد ، حتى في أصعب الظروف السياسية والحربية التي تعرضت لها
المدينة في العصر العباسي الأول ، فعندما اشتد الخلاف بين الأمين والمأمون ، كانت الحرب في
بغداد قائمة في الجانبين جميعاً ، إلا أن الأسواق قائمة ، والتجار على حالهم لا يهاجمون ،
وتجتمع على التاجر الواحد جماعة من أصحاب المأمون ، وجماعة من أصحاب محمد - الأمين
- فلا يكون بينهم تنازع .^(٢)

طبقة تجار الأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول

كان تجار بغداد في نعمة وثروة ، خصوصاً باعة المجوهرات ، لأنما تطلبه المدينة^(٣) ،
فقد تركت تجارة السلع الثمينة والمجوهرات لأولئك الذين لهم ارتباط بالخليفة وحاشيته
ورجال الدولة .^(٤)

وقد ذكر الطبري في أحداث سنة ١٨٩هـ / ٨٠٤م ما يفيد بأن أكبر تجار الجواهر
والأحجار الكريمة كانوا في منطقة الكرخ ببغداد^(٥) ، وأن يحيى بن خالد ابن برمك قد ساوم
تاجرين على سقطة^(٦) به جواهر بلغ ثمنه سبعة آلاف ألف درهم^(٧) سبعة مليون درهم .

(١) د/ عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي . ص ١٥٦ .

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . ط - دار صادر - بيروت - لبنان - لم تذكر سنة الطبع . ج ٢ ص ٤٤٠ - ٤٤١ .

(٣) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي . ج ٢ ص ١٧٣ .

(٤) د/ أمينة البيطار : تاريخ العصر العباسي . ص ٣٥٩ .

(٥) كان السبب في نقل أبي جعفر المنصور التجار من المدينة - بغداد - إلى الكرخ وما قرب منها مما هو خارج المدينة ،
أنه قيل لأبي جعفر : إن الغرباء وغيرهم يبيتون فيها ، ولا يؤمن أن يكون فيهم جواسيس ، ومن يعرف الأخبار ، أو
أن يفتح أبواب المدينة ليلاً لموضع السوق ، فأمر بإخراج السوق من المدينة . الطبري : تاريخ الرسل والملوك . تحقيق
/ محمد أبو الفضل إبراهيم . ط - دار المعارف - لم تذكر سنة الطبع . ج ٧ ص ٦٥٣ .

(٦) السقطة : الذي يعنى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء ، والسقطة كالجوالت ، والجمع أسقاط . ابن منظور :
لسان العرب . مادة سقطة .

(٧) تاريخ الطبري : ج ٨ ص ٣١٤ - ٣١٥ .

أما عن أشهر من عرف بتجارة الجواهر والأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول فقد ذكر البيروني أسماء المشهورين من طبقة الجوهريين في الأيام المروانية والعباسية فكان منهم: عون العبادي ، وأيوب الأسود البصري ، بشر بن شاذان ، صباح ويعقوب الكندي ، وأبي عبد الله الجصاص ، وقسيم ، وابن خباب ، رأس الدنيا ، وابن البهلول .^(١) ومن طبقة تجار الجواهر أيضاً الإمام الثقة أبو عمر اليماني اللؤلؤي نزيل بغداد ، كان قاضياً على خراسان وأصله من اليمامة ، قدم بغداد ونزلها ، وكان صاحب جوهر ولؤلؤ لزم السوق ، وبقي حتى سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م^(٢) ، ومنهم أيضاً أبي يعقوب إسحاق بن محمد مولى بن سدوس ، ولد بالبصرة سنة ١٩٤ هـ / ٨٠٩ م ، وكان صالحاً يتجر في الجواهر .^(٣)

ومن أشهر هؤلاء التجار السالفي الذكر ، ممن لهم علاقة بخلفاء بني العباس ، أيوب الأسود الذي كان يبتاع الكركند للخليفة المهدي وكان رجلاً من أهل البصرة .^(٤)

وكان هارون الرشيد شديد الولوع بالجواهر حريصاً على اقتنائها ، فبعث بالصباح الجوهري جد الكندي إلى صاحب سرنديب لابتاع جواهر في ناحيته فأكرمه ملك سرنديب ورحب به وأراه خزانة جواهره .^(٥)

ومن هؤلاء التجار الذين لهم علاقة بالخلفاء العباسيين ، تاجراً يسمى ربّاح وهو الذي باع هارون الرشيد لؤلؤة اسمها حبة الثعلب كان قد وجدها أحد سكان البصرة على الساحل ، فلما وافى الرشيد البصرة حملها إليه ربّاح وكان هذا الرجل أفضل الجوهريين في ذلك الزمان ، فلما رآها الرشيد أعجب بها وقال لربّاح: هل رأيت أحسن منها ؟

(١) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ١٠٤ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء . تحقيق / شعيب الأرنؤوط . ط - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان سنة ١٩٩٣ م . ج - ١٠ ص ٣٢٦ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . ط - دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٣٥٨ هـ . ج - ٥ ص ١٧٤ .

(٤) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٥٢ .

(٥) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ١٣٧ .

فقال ما رأيت أحسن منها ، ففرح بهذا القول. ^(١) أما الدرة المعروفة باليتيمة ^(٢) في المصادر التاريخية ، فإنما سميت اليتيمة لأنه لم يوجد لها أخت في الدنيا ولا قريبة ، فإن مسلم بن عبد الله العراقي أحد من يجهز الفاصة إلى طلب اللؤلؤ في خلافة الرشيد قد حصل عليها . ^(٣)

وقد ذكر إرام هرمزي قصة حصول هذا التاجر على الدرة اليتيمة ، وإن كان قد ذكر بأن اسمه مسلم بن بشر ، وليس مسلم بن عبد الله العراقي : فذكر بأنه كان من عمان ، وكان رجلاً مستوراً وكان ممن يجهز الفاصة في طلب اللؤلؤ ، وكانت بيده بضاعة فلم يزل يجهز الرجال للغوص ولا يرجع إليه فائدة حتى ذهب جميع ما كان يملكه ولم يبق له حيلة ولا ذخيرة إلا خلخال بمائة دينار لزوجه ، فتلف بها وأخذ الخلخال وصرفه وجهز بجميعه الرجال إلى الغوص وخرج معهم ، فأقاموا بغوصون تسعة وخمسين يوماً ويخرجون الصدف ويفتحونه فلا يحصل لهم شيء وفي آخر يوم من الستين حصل بيده درتان إحداها اليتيمة والأخرى دوقاً بكثير فحملها إلى الرشيد ، وباع اليتيمة بسبعين ألف درهم ^(٤) ، والصغرى بثلاثين ألف درهم وانصرف إلى عمان بمائة ألف فبناها داراً عظيمة واشترى ضياعاً واعتقر عقاراً وداره معروفة بعمان . ^(٥)

هذا ولم يكن مسلم بن عبد الله العراقي ، هو التاجر الوحيد الذي أثنى من تجارة اللؤلؤ ثراء فاحشاً ، بل كانت تجارة الأحجار الكريمة عموماً تدرى على أصحابها مالاً وفيراً ، من ذلك ما ذكره ابن حوقل بأن العاملين في المرجان — أى في استخراجهم وتجارتهم — يكثرون

(١) الخليلي : سر الأسرار . ص ٢٢ .

(٢) كان وزن الدرة اليتيمة ثلاثة مثاقيل وقيراط ، وقيل دون الثلاثة بشئ يسير . المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣) ابن الزبير : الذخائر والتحف . تحقيق د/ محمد حميد الله . ط — دائرة المطبوعات — الكويت سنة ١٩٥٩ م . ص ١٧٧ .

(٤) ذكر ابن الزبير بأن الرشيد اشترى الدرة اليتيمة بسبعين ألف دينار — وليس درهماً — وكذلك الصغيرة بثلاثين ألف دينار . المصدر السابق : ص ١٧٧ .

(٥) إرام هرمزي : عجائب الهند . ص ١٠١ — ١٠٣ .

الأكل والشراب ، والخلاعة ، ولهم بها مكاسب وافرة ويتبذرون بنبذ العسل فيشربونه من يومه ويسكرهم الإسكار العظيم .^(١)

وكان بعض تجار الأحجار الكريمة غير أمين فى تجارتهم فقد كان البعض منهم يفش فى تجارة الأحجار الكريمة ، مستغلاً التشابه فى ألوان الأحجار الكريمة فيدلس بعضها ببعض ليستفيد بنفس الأسعار بين الأحجار الأصلية وأشبابها ، فقد كان الزمرد - عموماً - المدلسون يتحولون فى التشبه به أكثر من الياقوت^(٢) ، فحجر الياسب شبيه بالزمرد ولا يكاد يعرفه إلا البصير الناقد ، وفرق ما بينهما أنه إذا وضع على البطانة - الكورة - نقص ماؤه وصار إلى السواد والصفرة أيضاً ، والمكي يغالط به الزمرد فى الحلي والملبس .^(٣)

وكان الخرين شبيه بالياقوت وبغالط به ، ولا بقاء له على النار إلا على غاية ، على قدر صلابته واسترخائه ، وقد يشتريه التجار بحساب الياقوت وبغالطون به ، ويقع من الأفلوج نوع أحمر شبيه بالياقوت الأحمر يغالطون به ، وقد يباع الحجر منه بثلاثة آلاف دينار ، ولا يبصره إلا البصير ، حتى يحكه بالياقوت الأحمر ، فيحكه .^(٤)

فقد كانت الأشباه فيما مضى تباع فى عدد اليواقيت وتقيم كقيمتها ، وأن أيوب الأسود البصري كان يبيع الكركند والجربز والأبلج من الخليفة المهدي بألوف الدنانير على أنها يواقيت ، حتى أطلعه عون العبادي - من بنى سليم - على تمويه أيوب ، وأعلمه أن هذه الأشباه إذا دخلت النار لا تصبر عليها صبر الياقوت الأحمر الخالص ، فإنه يزداد بها حسناً وجودة ، فادخل المهدي أحجار كل واحد منهما إلى النار فاحترق^(٥) ، ومعنى هذا أن الخليفة العباسي المهدي ذاته قد تم خداعه ومغالطته فى الجواهر ، وبيع له أشباه اليواقيت على

(١) ابن حوقل : صورة الأرض . ص ٧٥ .

(٢) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص ١٥ .

(٣) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٥٦ - ٥٧ .

(٤) المصدر السابق : ص ٥١ - ٥٣ .

(٥) البروني : الجماهر فى الجواهر . ص ١٢٧ ، يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٥٢ .

أنها يواقيت ، وهذا في حد ذاته يؤكد على أن عملية الغش في الجواهر من قبل التجار كانت موجودة وبكثرة في ذلك العصر ، هذا مع العلم بأن المصادر التاريخية لم تقدمنا بأي معلومات عن موقف الخليفة العباسي من هذا التاجر الذي خدعه في آلاف الدنانير .

وقد كان تجار الأحجار الكريمة يخدعون في بعض الجواهر بسبب عدم معرفتهم الجيدة ببعضها ، فقد كان أهل العراق وخراسان لا يميزون بين أنواع الألماس وألوانه ، وكلها كانت عندهم سواء بمثابة واحدة ، غير أنهم كانوا يبذلون جهداً مشكوراً في التغلب على الغش فيها فكان من عادة الجوهرين أن يجعلوا الجوهر في الفم ويرطبوه ، نفيماً لما عسى غشى وجهه من غبار أو هباءات ، وصقلاً له .^(١)

أسباب اقتناء الأحجار الكريمة

الجواهر الثمينة ترغب في اقتنائها الملوك والسلاطين لعظم الثمن وخفة الحمل والمباهاة بها وعدمها عند العامة ، وما كان كذلك فنظر مالكة إليه وتقليبه إياه يسره ويهجه ويشرح صدره ويطيب نفسه فهو يزداد به فرحاً .^(٢) فإذا كانت هذه هي أسباب اقتناء الأحجار الكريمة عامة ، فإنه يمكن حصر أسباب اقتنائها في العصر العباسي الأول على النحو الآتي :

١- جمال الأحجار الكريمة .

من أهم الأسباب التي كانت تدعو إلى اقتناء الأحجار الكريمة بشراءها ودفع الأثمان العالية فيها سواء في العصر العباسي الأول ، أو في أي عصر ومصر ، هو جمال الأحجار الكريمة في حد ذاتها وحسن صنعها من الخالق سبحانه وتعالى ، وميل النفس البشرية بوجه عام إلى اقتناء كل ما هو حسن وجميل .

(١) المصدر السابق : ص ١٧٤ بتصرف بسيط .

(٢) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص ١٣ .

فلم يكن لحجر البلخش منفعة كالياقوت ، بل كان يشتري لحسنه ^(١) . وكان الملوك يتخذون الماس عندهم لشرفه ^(٢) ، أما اللازورد فكان يجرى عند الملوك مجرى العقيق ، فلا يتخذ منه إلا ما كان حسناً جوهره ، واتخذ منه آله مليحة لا تتمكن العامة من اتخاذها ^(٣) ، فإن الملوك تزين بصنوف الزينة المثمنة ليجلوا فى القلوب جلالة الأموال فى العيون ، فتوجه إليهم الأطعمة وتناط بهم الآمال . ^(٤)

٢- القيمة المادية للجواهر .

إن هذه الأحجار الكريمة أصبحت فى عصر تميز بنمو الحركة التجارية وقوقها ، بديلاً مهماً لأنواع العملات المعدنية ، فهي أكثر قيمة وأخف حملاً ^(٥) ، وكان الملوك أحوج الناس إلى جمع الأموال ؛ لأنهم بما يملكون الأزمة ويسرون بمكانها الأعتة ^(٦) ، قال بعض آل مروان - بنى أمية - : لم يكن لنا فى هربنا شئ أنفع من الجوهر الخفيف الثمن الذى لا تجاوز قيمته الخمسة دنانير ^(٧) ، أى أن سبب اقتناء الجواهر فى عصر بنى أمية كان بدافع الحاجة إليها فى أوقات الشدة نظراً لارتفاع ثمنها وخفتها فى الحمل عن الدراهم والدنانير .

وكانت هذه الغاية هي ما نصح به أحد بنى أمية الخليفة العباسي المنصور فقد أتى برجل من بنى أمية إلى الخليفة المنصور فقال له : إني أسألك عن أشياء فاصدقني ولك الأمان ، قال : نعم ، قال : من أين أتى بنو أمية حتى انتشر أمرهم؟ قال : من تضييع الأخبار ، قال : فأى الأموال وجدوها أنفع؟ قال : الجوهر ، قال : فعند من وجدوا الوفاء؟ قال : عند

(١) ابن الإكفاني : نخب الدخائر . ص ٥ .

(٢) الإبيشيبي : المستطرف . ج ٢ ص ٣١١ .

(٣) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص ١٨ .

(٤) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص ٩٦ .

(٥) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٥ . مقدمة الخقق .

(٦) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص ٩٧ .

(٧) المصدر السابق : ص ١٣٩ .

مواليهم^(١) ، فقد آثروا العين - الذهب - على الورق - الفضة - في الاصطحاب وخف عليهم محمله ، وحين لم يأمنوا الوقائع النابتة سجالاً ، وقد عرف أن النجاء فيها بالقلّة والخفة ، مالوا إلى الجواهر ، إذ أن حجمها عند حجم الذهب أقلّ قدراً ، فاصطحبوا معهم ، وقرنوها بأنفسهم^(٢) ، وربما يكون هذا السبب من أكبر الأسباب التي دعت الخلفاء وكبار رجالات الدولة بوجه خاص إلى اقتناء هذه الأحجار الكريمة .

٣- الفوائد الطبية .

كانت الفوائد الطبية والصحية لبعض الأحجار الكريمة من الأسباب التي دعت العامة والخاصة لاقتناء هذه الأحجار ، وسواء كانت هذه الفوائد الطبية لهذه الأحجار صحيحة أم خاطئة ، فإنها أدت بدورها إلى زيادة الطلب في اقتناء هذه الأحجار ، هذا مع العلم بأن المصادر المتخصصة في الجواهر والأحجار الكريمة قد أفاضت كثيراً في تعدد فوائد هذه الأحجار الطبية ولم تستثن من الأحجار في هذا المضار إلا القليل .

كان الملوك يتخذون من البلّور أوّاني ، على اعتقاد أن الشرب فيه له فوائد^(٣) . وكانت هناك العديد من الأحجار الكريمة تدخل في علاج العيون حسب المعلومات الطبية المتوفرة في ذلك العصر ، فكان المرجان يدخل في معالجات العين ويصلب الحدقة^(٤) ، أما اللازورد فينفع العين اكتحالاً إذا خلط في الأكحال^(٥) وحجر الكرك ينفع لحكة العين اكتحالاً^(٦) . ومن فوائد المرجان أيضاً أنه يقطع نزيف الدم ويقوي القلب ، وينفع من عسر

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ط - دار صادر - بيروت - لبنان - الطبعة السادسة سنة ١٩٩٥ م . ج ٥ ص ٢٢٥ .

(٢) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ١٠٠ .

(٣) المغربي : قطف الأزهار . ص ٧٩ .

(٤) القزويني : عجائب المخلوقات . ص ١٥٦ .

(٥) ابن الوردي : خريدة المجانب . ص ١٢٦ .

(٦) القزويني : عجائب المخلوقات . ص ١٥٤ .

البول^(١) ، أما العقيق فإن السواك بنحاته يجلو وسخ الأسنان ورائحتها الكريهة^(٢) ، هذا إلى جانب غيرها من الفوائد الطبية الأخرى للعديد من الأحجار الكريمة التى يضيق المقام عن ذكرها ، ولكنها كانت من الأسباب الهامة لاقتناء هذه الأحجار .

٤- الموروث الشعبى .

لم تتوقف أسباب اقتناء الأحجار الكريمة عند حد حسنها وقيمتها المادية أو حتى فوائدها الطبية إن صحت ، بل تعدتها إلى حد بعض الموروثات والمعتقدات الشعبية فى نفع أو ضرر بعض هذه الأحجار الكريمة للإنسان سواء كان من الخاصة أو العامة .

فمن اعتقادات الناس فى بعض هذه الأحجار ، أن كبار الناس كانوا يرغبون فى لبس الفيروزج تفاؤلاً باسمه^(٣) ، وكان الفيروزج يسمى أيضاً حجر العين ، لأن حامله يدفع عنه شرها^(٤) ، وكان من الاعتقاد السائد فى الياقوت البرهماني أن من لبسه أو تختم به لم تنهشه هوام الأرض ولا بعوضها .^(٥)

ونجد المسعودي يقول عن اعتقاد الناس فى حجر الزمرد^(٦) : " لا تناكر بين ذوي الدراية بهذا الجوهر ومن عنى بمعرفته أن الحيات والأفاعي وسائر أنواع الحيات من الثعابين وغيرها إذا أبصرت الزمرد الخالص سالت أحداقها " ، وكان يعتقد بأن من تختم باللازورد نيل فى أعين الناس .^(٧)

هذا ولم تقتصر المعتقدات الشعبية على عامة الناس فى الأحجار الكريمة بل تعدت إلى الملوك وعلية القوم ، فقد كان الفيروزج يسمى أيضاً بالفارسية " النصر " ولذلك يسمى

(١) المصدر السابق : ص ١٤١ .

(٢) ابن الوردي : خريدة العجائب . ص ١٢٦ .

(٣) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص ٢٧٥ .

(٤) ابن الإكفاني : تحب الدخائر . ص ١١ .

(٥) الزهري : كتاب الجغرافية . ص ١٣ .

(٦) مروج الذهب : ج ٢ ص ٢٤ .

(٧) القزويني : عجائب المخلوقات . ص ١٥٤ .

حجر الغلبة " والملوك تعظم هذا الحجر ، لأنه يدفع القتل عن صاحبه ، ولم ير في يد قتيل قط ، ولا في يد غريق ^(١) ، وكان حجر اليشم يسمى أيضاً حجر الغلبة ، ومن أجله جلى الترك سيوفهم وسروجهم ومناطقهم به حرصاً على نيل الغلبة في القراع والصراع . ^(٢)
وكانت هناك أيضاً في المقابل أحجاراً يستخدمها الملوك للانتحار في ساعة الغلبة ، مثل حجر الماس ، فإن الملوك ترغب في اقتناء الأحجار الكبار منه لعدمها عند العامة وقتلتها ، وتراد أيضاً لمن يقتلون بها أنفسهم متى حصلوا في قبضة عدو ، وأيقنوا أنه يعذبهم ويهينهم قبل القتل ، فإن الملك إذا اتفق له ذلك ابتلع الفص فمات . ^(٣)

فئات مستتري الأحجار الكريمة

يتوفر الترف عند العظماء من أرباب الدولة ثم ينقص شيئاً فشيئاً عند من هم أقل منهم في الجاه إلى أن يبقى منه نصيب لعامة الناس ، وهم وإن لم يكونوا بموضع هؤلاء الملوك من جلالة قدر لهم واتساع نعمة عندهم ، أخذوا يعتنون أنفسهم من الطيبات في جميع وجوهها ، بعد أن تغربوا بالأسفار التي أكسبتهم التجارب وأرقم العجائب ، وأوجدت لهم التجارات والمكاسب ، فصار الناس من الجهات يقصدونهم بأفخر ما عندهم من جميع الأجناس إلى أن عمرت عندهم الأسواق ... فتطرقوا إلى اقتناء الأشياء للزينة والمباهاة ، كابتياعهم السلاح المزحل بالذهب وتنافسهم في الجواهر الثمينة والآنية المزخرفة والمتاع الفاخر . ^(٤)

كانت الجواهر قنية الأكاسرة ، واتسعت الجواهر في أيام بني أمية ، وامتلات بها خزائهم ، ثم فاجأهم الدولة العباسية ، فأقبلوا على إنمائها والزيادة ولم تنزل جواهر الخلافة في الازدياد إلى أيام المعتذر فقد كان الخلفاء قبل المعتذر يسطون أيديهم في الجواهر بقدر لا

(١) ابن الإكفاني : لمح الذخائر . ص ١١ .

(٢) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ٣١٧ .

(٣) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص ١٦ .

(٤) جيل المدور : تاريخ العراق في عصر العباسيين . ص ٩٧ .

يجحف ولا يلامون عليه^(١) ، فقد وجد بنو العباس فى خزائن مروان محمد حين ظفر به بمصر مائدة جزع أرضها بيضاء وفيها خطوط سود وجر ، سمعها ثلاثة أشبار ، وغلظها أصبعان.^(٢)
هذا وقد تمثلت فئات مشترى الأحجار الكريمة فى العصر العباسى الأول فى الفئات الاجتماعية الآتية :

١- فئة الخلفاء والأمراء :

بداية يجب القول بأن فئة كبيرة من الجواهر التى كان يمتلكها الخلفاء والأمراء فى العصر العباسى الأول ، قد انتقلت إليهم من خزائن بني أمية ، بعد أن تغلبوا عليهم ، فقد انتقل إلى بني العباس — على سبيل المثال — حين انتقل الأمر إليهم درة بني أمية العظيمة التى زعم الناس أنهم لم يروا فى عظمها ، ولم يكن فى الضوء والبياض مثلها كذلك .^(٣)
وحصل خلفاء العصر العباسى الأول على فئة كبيرة أيضاً من الأحجار الكريمة عن طريق الكنوز والدفائن الخاصة بالأمم السابقة ، خاصة أكاسرة الفرس ، فقد كان فى طبرستان حصن حصين يسمى حصن الطاق ، كان فى قديم الزمان خزانة ملوك الفرس ، وهو نقب فى موضع عالٍ فى جبل صعب المسلك^(٤) فوجه أبو جعفر المنصور قائده خالد بن برمك إلى طبرستان مخاربة الأصبهيد^(٥) وكانت الأكاسرة أيام هروبهم من العراق إلى مرو قد أودعوا فى هذا الحصن نفيس أموالهم لصعوبته ، فوجد خالد بن برمك فى خزائهم من الجواهر

(١) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص ١٣٢ — ١٣٣ .

(٢) ابن الزبير : الدخائر والتحف . ص ١٧٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٧٤ .

(٤) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد . ص ٣٥٦ — ٣٥٧ .

(٥) كانت طبرستان فى الحصانة والمنعة على ما هي عليه ، وكانت ملوك الفرس توليها رجالاً ويسمونه الأصبهيد ، فلم يزلوا على ذلك حتى جاء الإسلام ، ثم إن الأصبهيد استطال أيام المنصور ، فأمر خالد بن برمك أن يتولاها ، = فتولاها خمس سنين وعمل بها العجائب وظفر بخزائن ملوك فارس فى الطاق . ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان . ص ٣٠٧ — ٣١٠ بتصرف بسيط .

والتيجان والمناطق والسيوف المكللة بالدر والياقوت والزمرّد مالا قيمة له .^(١)

أما عن شراء الخلفاء العباسيين للأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول ، ليأتي في مقدمتهم أبو العباس السفاح ، الذي بعث إلى الكعبة المشرفة صحيفة خضراء من زبرجد اشتراها بأربعة آلاف دينار^(٢) ، وكان فص الخاتم الذي يسمى " البحر " وزنه ثلاثة مثاقيل اشتراه أبو جعفر المنصور بثلاثين ألف دينار وهو اليوم — في عهد الجاحظ — في خزانة بعض الخلفاء^(٣) ، وقد ذكر البيروني أن شراؤه أربعين ألف دينار^(٤) ، وقد كثرت الجواهر في عهد أبي جعفر المنصور ، لدرجة أنه كان قد جعل على حفظهما إحدى جواربه ، فقد كانت جرة العطار^(٥) ، جارية الجوهر في قصر أبي جعفر المنصور .^(٥)

وكان المهدي بن أبي جعفر المنصور من المهتمين بشراء الأحجار الكريمة ، فقد كان الخاتم المعروف بالجبل فصاً من ياقوت أحمر على أقصى النهاية في النفاسة ، قد اشتراه الخليفة المهدي^(٦) بثلاثمائة ألف دينار ، وهبه لابنه الهادي ، وهب للرشيد الخاتم المعروف بإسماعيل ، من زمردة لم ير مثلاً لها ، ولما استخلف الهادي ، ودخل عليه الرشيد رأى الإسماعيلي في يده فحسده عليه وأراد أن يقرنه بالجبل^(٦) ، فلما وصل الرشيد إلى بغداد سنة ١٧٠ هـ / ٧٦٨ م وبلغ الجسر دعا الفواصين ، وقال : كان المهدي قد وهب لي خاتماً شراؤه

(١) المصدر السابق : ص ٣١٤ .

(٢) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ١٤١ .

(٣) الجاحظ : التبصر بالتجارة . ص ١٤ .

(٤) الجماهر في الجواهر : ص ٢٦٧ .

(٥) كانت جرة العطار ، عطار أبي جعفر المنصور . الطبري : تاريخ الرسل والملوك . ج ٤ ص ٥٤١ .

(٥) المصدر السابق : ج ٥ ص ٩٢ .

(٦) ذكر الجاحظ بأن الذي اشتراه أبو جعفر المنصور بأربعين ألف دينار . التبصر بالتجارة : ص ١٣ — ١٤ .

(٦) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ١٣٦ .

مائة ألف دينار ، يسمى الجبل ^(١) ، فأتاني رسول الهادي يطلب الخاتم وأنا هاهنا ، فألقيته فى الماء ، ففاصوا عليه وأخرجوه ، فسر به . ^(١)

كان هارون الرشيد شديد الحبة للجواهر ^(٢) ، وذكر البيروني بأن الرشيد سلم إلى يحيى بن خالد جراباً من جواهر ليحفظه ^(٣) ، والجريب عند الجمهور يساوي (٩٧,٩٢ كيلو جرام) ^(٤) ، وهي كمية كبيرة بالفعل وتدل على مدى حب هارون الرشيد للجواهر وحرصه على اقتناءها .

ولعل خير ما يدل على أن هارون الرشيد كان من أكثر خلفاء العصر العباسى الأول شراء للأحجار الكريمة ، أن الفضل بن الربيع - وزير هارون الرشيد بعد نكبة البرامكة - قال : لما مات الرشيد وولى الخلافة محمد الأمين بعد أبيه فى سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٨ م أمرني أن أحصي ما فى الخزائن فوجدت فيها ... جواهر قَوْمَةُ الجوهريون بأربعة آلاف ألف دينار وخمس مائة ألف دينار (٤ مليون ونصف دينار) وألف خاتم جواهر . ^(٥)

أما الخليفة المأمون بن هارون الرشيد فقد ورث حب الجواهر عن أبيه ، ومن الروايات التى تدل على اهتمامه بشراء الأحجار الكريمة ، أنه أحضر أصحاب الجواهر فناظرهم على متاع كان معهم ... فاشتري من أحدهم بثلاثين ألف دينار . ^(٦) هذا ولم تقتصر عملية شراء الأحجار الكريمة على خلفاء بنى العباس فقط بل كان لأمرء البيت

^(١) ذكر آتفاً بأن اسم هذا الخاتم الإسماعيلي وليس الجبل كما ذكر ابن الأثير والصحيح أن اسمه الإسماعيلي ، لأن البيروني أسبق زمناً من ابن الأثير .

^(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . ج ٦ ص ١٠٧ .

^(٣) ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص ١٨٠ .

^(٤) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص ٢٦٠ .

^(٥) د/ علي جمعة : المكايل والموازين الشرعية . ص ٤٩ .

^(٦) ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص ١٤ - ١٥ .

^(٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء . ج ١٠ ص ٤٦٦ .

العباسي ونسائه نصيباً في ذلك . من هذا أنه لما ظفر بإبراهيم بن المهدي في سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م كان في يده خاتم لصفه ياقوت أحمر ، كان شراؤه عشرة آلاف دينار ، وكان مع عيسى بن أبي جعفر المنصور فصاً من ياقوت أحمر ^(١) ، وذكر آنفاً بأنه كان لأم جعفر زبيدة زوجة الرشيد سبعة من الدر ، كان شراؤها خمسين ألف دينار . ^(٢)

ومن مقتني الأحجار الكريمة أيضاً أصهار البيت العباسي ، ففي سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م بنى المأمون ببوران ابنة الحسن بن سهل في رمضان ، فلما دخل إليها نثرت عليها جدماً ألف لؤلؤة من أنفس ما يكون ، فأمر المأمون بجمعه ، فجمع فأعطاه ببوران ^(٣) ، حيث جاءت جدة بوران بمكتل من ذهب مرصع بجوهر كبار نثر على من حضر من النساء . ^(٤)

٢- فئة كبار رجال الدولة .

إن الجواهر خاصة من آلات الملوك ، فإذا كانت عند غيرهم ممن لا يليق بحاله ، تلونت الظنون فيه ، بأنها إما مسروقة والسارق مطلوب ، وإما متملكة حقاً لمتكبر من الكبار ، ومثله مرصود ^(٥) ، غير أن الغالي من كل صنف من السلع إنما يختص به أهل الثروة وحاشية الدولة وهم الأقل . ^(٦)

كان كبار رجال الدولة ووجهاءها في العصر العباسي الأول من المهتمين بشراء واقتناء الأحجار الكريمة ، فهم الأقدر على شراءها بعد فئة خلفاء بني العباس ، هذا فضلاً عن الهدايا والهبات من الأحجار الكريمة والتي كانوا يحصلون عليها من الخلفاء أنفسهم ، فقد بعث الهادي إلى يحيى بن خالد البرمكي قائمته وأعطاه خاتم ياقوت أحمر في يده ^(٧) ، وكان

(١) ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص ١٧٨ .

(٢) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ٢٥٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ج ٦ ص ٣٩٥ .

(٤) ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص ٩٩ .

(٥) البيروني : الجماهر في الجواهر . ص ١٠٠ .

(٦) ابن خلدون : المقدمة . ج ٢ ص ٨٥٢ .

(٧) الطبري : تاريخ الرسل والملوك . ج ٨ ص ٢٠٨ .

جبريل بن بختيشوع بن جرجس — أحد أطباء الدولة العباسية في عهد هارون الرشيد — اشترى جواهر وما أعده للذخائر بقيمة خمسمائة ألف دينار^(١)، ولما قدم المأمون بغداد منصرفاً من خراسان، أهدى إليه الفضل بن الربيع فص ياقوت لم ير مثله^(٢)، فلو لم يكن هذا الوزير لديه القدرة المالية على شراء هذا الفص من الياقوت، ما أهداه للخليفة.

لما قبض على المازيار^(٣) وإخوته وأهل بيته وحمل إلى أمير المؤمنين المعتصم سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م، طلب من المازيار أن يقدم تقريراً عن مقدار ثروته، فقال المازيار: أشهدوا أن جميع ما حملت من أموالي وصحفي ستة وتسعون ألف دينار، وسبع عشرة قطعة زمرّد، وست عشرة قطعة ياقوت أحمر... وتاج وسيف من ذهب وجوهر، وخنجر من ذهب مكلل بالجوهر، وحق كبير مملوء جوهر^(٤)، وكانت قيمة الحق الكبير المملوء جوهر^(٥) ثمانية عشر ألف درهم^(٦) (١٨ مليون درهم)، هذا فضلاً عن سعر الزمرّد والياقوت والسيوف والخنجر المكللة بالجواهر، والقي تشهد على مدى اهتمام كبار رجال الدولة بالأحجار الكريمة وشراءها، سواء كان هذا الشراء والاقتناء بوجه حق أم لا.

وعندما أمر المعتصم بحبس قائد الأفشين^(٧)، وجه سليمان بن وهب الكاتب ليحصى جميع ما في دار الأفشين ويكتبه، فوجد في داره بيت فيه تمثال إنسان من خشب

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء. صححه / محمد باسل عيون السود. ط — دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان — الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨ م. ص ١٧٩.

(٢) البيروني: الجماهر في الجواهر. ص ١٣٨.

(٣) هو المازيار بن قارن بن بندار هرمس صاحب طبرستان، كان المأمون قد اصطنعه، فعصى في أيام المعتصم، وكثرت عساكره، واتسعت جيوشه وكتب إليه المعتصم يأمره بالحضور فأبى، فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بحرقه. المسعودي: مروج الذهب. ج ٤ ص ٦١.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك. ج ٩ ص ٩٦.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ. ج ٦ ص ٥٠٢.

(٦) الأفشين: هو حيدر بن كاوس حبس الإفشين في سامراء، وكان حبسه في سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م، ثم توفي في الحبس، وصلب على باب العامة بسامراء. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٧٨.

وعليه حلية كثيرة وجوهر وفي أذنيه حجران أبيضان مشبكان ، عليهما ذهب ^(١) ، وهذه الرواية تؤكد أيضاً مدى اهتمام كبار رجال الدولة في العصر العباسي الأول بالأحجار الكريمة والحرص على اقتناءها .

٣- فئة العامة .

ذكر آنفاً في أسعار الأحجار الكريمة بأن بعضها كانت أسعاره لا تتجاوز الدينار الواحد ، بل إن بعضها كان أقل من نصف دينار ، ولاشك أن هذا السعر الزهيد لهذه الأحجار الكريمة ، كان في متناول الكثيرين من عامة الناس في العصر العباسي الأول ، فأقبل عامة الناس على شراءها ، لا لقيمتها المادية ، بل لتطلع النفس البشرية بوجه عام إلى حب مثل هذه الأحجار الكريمة لحسنها وبريقها .

على الرغم من أن اللؤلؤ كان من أغلى الجواهر في العصر العباسي الأول — كما ذكر آنفاً — إلا أنه كان منه نوع كان يستعمله الناس جميعاً ، فقد ذكر يحيى بن ماسويه بأن اللؤلؤ الذي يستخرج من مغاص سرنديب هو عامة اللؤلؤ المعروف بالذق الذي يستعمله الناس جميعاً ^(٢) .

وكان العقيق من الأحجار التي يحرص عامة الناس على شراءه ، يقول الدمشقي عن ذلك ^(٣) : " إن العقيق من أحسن الجواهر المليحة لولا كثرتة ، وهان عند الملوك لاقتدار العامة عليه ، فهم لا يتخذون إلا ما كان حجراً كبيراً قد عملت منه آلة مليحة مثل القدح أو ما جرى مجرى ذلك ، فيقتنى على حكم الاستظراف والوجود ، فإن العامة لا تتمكن من ذلك " .

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك . جـ ٩ ص ١١٤ .

(٢) يحيى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص ٣٦ — ٣٧ .

(٣) الإشارة إلى محاسن التجارة : ص ١٧ .

ويجرى اللزورد عند الملوك مجرى العقيق ، فلا يتخذ منه إلا ما كان حسن جوهره .^(١) وكان الفيروزج أيضاً مما تحرص عامة الناس على شراءه ، يقول الدمشقي أيضاً عن ذلك ^(٢) : " الفيروزج لا يكاد كثير من الملوك يرغب فى لبسه لأجل أن العامة تكثر من التختم به " .

دور الأحجار الكريمة فى الحياة الاجتماعية

لم تكن الأحجار الكريمة التى حرص الخلفاء وكبار رجال الدولة العباسية على شراءها واقتناءها ، توضع فى خزائن مكنونة للحفاظ عليها وعلى قيمتها فقط ، بل كانت تؤدي دوراً كبيراً فى الحياة الاجتماعية فى العصر العباسى الأول ، وقد تمثل هذا الدور فى المقام الأول فى التعبير عن الأبهة والوجاهة الاجتماعية .

كانت أكبر مظاهر التعبير عن الأبهة والوجاهة الاجتماعية ، تتم فى مراسم الزواج ، وقد ظهر هذا جلياً منذ بداية الدولة العباسية ، فقد تزوج أبو العباس السفاح من أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، وكان معها مال عظيم وجوهر ... فلما دخل عليها من ليلته فإذا هي على منصة ، فصعد عليها ، فإذا كل عضو منها مكلل بالجوهر .^(٣)

ولما دخل الرشيد بزوجه زبيدة أم جعفر ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور سنة ١٦٥ هـ / ٧٨١ م استعد لها بما لم يستعد لامرأة قبلها من الآلة ، وأصناف الجواهر ، والحلي والتيجان والأكاليل^(٤) ، فأعطاها الرشيد بدنة^(٥) عبدة ابنه عبد الله بن معاوية امرأة هشام بن عبد الملك ، ولم ير فى الإسلام مثلها ومثل الحب الذى كان فيها ، ولا يعرف قيمتها

(١) الاشارة الى محاسن التجارة : ص ٢٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٦ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب . ج ٣ ص ٢٧٥ .

(٤) ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص ٩١ - ٩٢ .

(٥) انتقلت البدنة ، المقدم ذكرها إلى عبد الله بن علي حين ظفر ببني أمية ، ثم إلى بني العباس ثم إلى بني طاهر . الذخائر والتحف : ص ٩٣ .

عظماً، وكان في ظهرها وصدرها خطان من ياقوت أحمر ، وباقيها من الدر الكبار الذى ليس مثله ^(١) ، وزينها الرشيد بالخلي حتى لم تقدر على المشي لكثرة ما عليها من الجوهر . ^(٢)

أما الخليفة المأمون ، فإنه عندما تزوج ببوران بنت الحسن بن سهل ، أعطاها في مهرها ليلة زفافها ألف حصاة من الياقوت ^(٣) ، وفي يوم البناء بها فرش حصير من ذهب مسفوف ونثر عليه جوهر كثير فجعل يياض الدر يشرق على صفرة الذهب وما مسه أحد ، فوجه الحسن بن سهل - والد العروس - إلى المأمون وقال له : هذا نثار ونحب أن يلقط ، فقال المأمون لمن حوله من بنات الخلفاء : شرفن أبا محمد ، فمدت كل واحدة منهن يدها ، فأخذت درة ، وبقي باقي الدر يلوح على الحصير الذهب ^(٤) ، وكان من نساء الخلفاء في هذه الجلسة زبيدة - زوج الرشيد - وحمدونة بنت الرشيد ^(٥) ، ويستفاد من هذه الرواية أن نساء الخلافة العباسية لم تغرهن هذه اللآلئ ، لدرجة أنهن لم يمددن أيديهن لأخذ واحدة منها ، إلا بعد أن طلب منهن الخليفة المأمون ذلك إكراماً للحسن بن سهل وهذا يدل على زهدهن في هذه اللآلئ التي كانت تملأ خزائنهن .

وتتجلى سيادة الخلفاء العباسيين الروحية في مواكبهم التي تميزت بروعتها ، فيتقدم موكبهم أيام الجمع والأعياد رجال الحرس على اختلاف طبقاتهم ويحملون الأعلام ، وكان الخليفة في تلك المواكب يلبس القباء الأسود ، ويتمنطق بمنطقة مرصعة بالجواهر ، ويلبس قلنسوة ^(٦) مدببة مزينة ببجوهرة ^(٧) ، عندما يبع المهدي بالخلافة كان مستوياً على عرش مكلل

(١) المصدر السابق : ص ٩١ - ٩٢ .

(٢) جميل المدور : تاريخ العراق في عصر العباسيين . ص ٩٥ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة . ج ٢ ص ١٧٣ .

(٤) ابن الساعي : نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الخرائر والإماء . تحقيق د/ مصطفى جواد : ط - دار

المعارف - لم تذكر سنة الطبع . ص ٧٠ .

(٥) الثعالبي : لطائف المعارف . ص ٧٣ .

(٦) القلنسوة : هي ما يلف على الرأس تكويراً مثل العمامة . د/ محمد عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية .

ص ٤٦٦ .

باللؤلؤ والياقوت وأنواع الجواهر وعلى يمينه ويساره غلامان قد التحفا بالذهب ، ووقفوا بمظلتين من الريش الأسود مرفوعتين على رحمين مكسوين بعروق من الذهب ، قد نزل فيها الياقوت والزبرجد والفيروز ، وكان على يمين العرش منبر مزخرف بأنواع الزينة والجواهر والديباج .^(٢)

ولما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان الذي كان للعباسة أخت الرشيد جلس فيه هو وجميع أهل بيته وأصحابه .. فجلس على سرير مرصع بالجواهر وأنواعه وألوانه ووضع على رأسه التاج الذي فيه الدرة البتيمة^(٣) ، وكان للخليفة العباسي الواثق قبة مرتفعة في السماء بيضاء ، وفي وسطها ساج منقوش مفضى باللزورد والذهب ، كانت تسمى قبة المنطقة .^(٤)

إلى جانب استخدامات الأحجار الكريمة في مظاهر الزواج ومراسم الجلوس على عرش الخلافة ، كانت الأحجار الكريمة تستعمل في الأدوات الشخصية ، فقد أمر محمد بن هارون الرشيد يوماً أن يفرش له على دكان في الخلد ، فبسط له عليه بساط ، وطرحته عليه ثمارق ، وفرش مثله ، وهبى له من آنية الفضة والذهب والجواهر أمر عظيم^(٥) ، واصطنعت زبيدة خفأ مرصعاً بالجواهر ، كما اصطنعت بساطاً من الديباج جميع صورة كل حيوان من جميع الأجناس ، وصورة كل طائر من الذهب وأعنيها من يواقيت وجواهر ، يقال إنها أنفقت عليه نحواً من ألف ألف دينار^(٦) (مليون دينار) .

ومن الأدوار الهامة للأحجار الكريمة في الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الأول ،

(١) د/ أمينة البيطار : تاريخ العصر العباسي . ص ٣٥٧ .

(٢) جميل المدور : تاريخ العراق في عصر العباسيين . ص ٦٦ .

(٣) ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص ١٢٩ .

(٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك . ج ٩ ص ١٢٥ .

(٥) المصدر السابق : ج ٨ ص ٥١٢ .

(٦) جميل المدور : تاريخ العراق في عصر العباسيين . ص ٩٥ .

أما كانت تستخدم في الهدايا من وإلى الخلفاء وكبار رجال الدولة ، فقد أهدى بعض ملوك الهند إلى الرشيد هدايا جليلة في جملتها قضيب زمرد أطول من الذراع ، وعلى رأسه تمثال طائر من ياقوت أحمر ، لا قدر له من النفاسة ، فوهبه لأم جعفر زبدة بنت جعفر زوجته ، وانتقل إلى الأمين ، ثم إلى أخيه المأمون ، ثم صار إلى المعتصم بعدهما ، وكانت قيمة طائر الياقوت الأحمر الذي على رأس القضيب مائة ألف دينار .^(١)

مضى هارون الرشيد إلى الري سنة ١٨٩هـ / ٨٠٤م ، فأقام بها نحواً من أربعة أشهر حتى قدم عليه علي بن عيسى بن ماهان - واليه على الري - بالأموال والهدايا والطرف من المتاع والمسك والجواهر وآنية الذهب والفضة ، وأهدى بعد ذلك إلى جميع من كان معه من ولده وأهل بيته وكتابه وخدمه وقواده على قدر طباقهم ومراتبهم .^(٢) وكانت هداياهم من الطرف والهدايا وغير ذلك .^(٣)

وأهدى (دهمي) ملك الهند إلى عبد الله المأمون ، جام ياقوت أحمر فتحه شبر في غلظ الأصبع ، مملوء دراً ، وزن كل درة مثقال والعدة مائة درة ، ومصليات ثلاثة بوسائد من ريش طائر يقال له السمندل^(٤) ، إذا طرح في النار لم تحترق ، وفراوزها در وياقوت أحمر .^(٥)

هذا عن الهدايا التي كانت تأتي إلى الخلفاء من الأحجار الكريمة وأشكالها التي شكلت فيها ، أما عن هدايا الخلفاء إلى غيرهم ، فمنها أن الخليفة المهدي لما ولي الخلافة أعطى الدرة العظيمة التي وجدت في خزائن بني أمية ، لحسنة جاريته فخرطتها فصين

(١) ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص ٢٠ - ٢١ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك . ج ٨ ص ٣١٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ج ٦ ص ١٩١ .

(٤) السمندل : حيوان كالقار يدخل النار ولا يحترق ويخرج والنار قد أزلت وسخه ، يتخذ من جلده مناديل الغمر للملوك ، فإذا توسخت تلقى في النار يزول وسخها . القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد . ص ٤٣٠ .

(٥) ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص ٢١ - ٢٥ .

للنرد^(١)، ولما ملك محمد الأمين قسم ما فى بيوت الأموال وما بحضرته من الجواهر فى خصيانه وجلسائه ومحدثيه، وحمل إليه ما كان فى الرقة من الجواهر والخزائن والسلاح^(٢)، وقام المأمون برد الهدية لدهمى ملك الهند، وكانت الهدية فارساً بفرويه وجميع آلاته من عقيق^(٣)، ووهب المأمون للحسن بن سهل عقداً قيمته ألف ألف درهم ومائة ألف درهم وستة عشر ألف درهم^(٤) (مليون و ١١٦ ألف درهم) .

وقد بلغ من كثرة الأحجار الكريمة فى عهد الخليفة المأمون أن جواريه كن يهدين الجواهر لبعضهن البعض على الرغم من ارتفاع أسعارها، فقد أهدت مؤنسة جارية المأمون إلى إحدى صديقاتها من الجواري، يعلم المأمون مخنقة - قلادة - واسطتها درة مثل بيضة العصفور، قيمتها عشرة آلاف دينار، وأربعة أحجار ياقوت أحمر، وأربعة أحجار زمرد عن يمينها وشمالها بين فرائد ذهب^(٥).

كانت الأحجار الكريمة تستخدم فى مكافأة القادة العباسيين على ما قاموا به من مجهودات حربية، فعندما قضى الأفشين على حركة بابك الخرمى فى خلافة المعتصم، حمل إليه ذرّاعة من الديباج الأحمر منسوجة بالذهب والجواهر، وقلنسوة عظيمة نظم عليها كثير من اللؤلؤ والجواهر... وتوج بتاج من الذهب مرصع بالجواهر، وإكليل ليس فيه من الجواهر إلا الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر قد شبك بالذهب^(٦).

ومن باب إتمام الفائدة أن نذكر بأن الأحجار الكريمة كان لها دور أساسى فى بعض الصراعات السياسية التى شهدتها العصر العباسى الأول خاصة فى أحداث الفتنة بين الأمين

(١) ابن الزبير: الذخائر والتحف: ص ١٧٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك. ج ٨ ص ٥٠٨ - ٥٠٩.

(٣) ابن الزبير: الذخائر والتحف. ص ٢٧.

(٤) شيخ الربوة: نخبه الدهر. ص ٨٦.

(٥) ابن الزبير: الذخائر والتحف. ص ١٨ - ١٩.

(٦) المسعودي: مروج الذهب. ج ٤ ص ٥٩.

والمأمون ، إذ عندما اشتد الخلاف بين الأمين والمأمون وجسه محمد الأمين إلى أم عيسى بنت موسى الهادي امرأة المأمون في بغداد يطلب منها جوهراً كان عندها للمأمون ، فمنعته ، وقالت : ما عندي شيء أملكه ، فوجه من هجم مرها ، فانتهب كل ما فيه ، وأخذ ذلك الجواهر ^(١) ، وكانت قيمة الجواهر الذي سلم من النهب ببغداد بعدما فرقه محمد الأمين ووجهه ، وقدمت به جرة العطاراة صاحبة خزانة الجواهر على المأمون بمرو ، بعد فتنة الأمين — على ما ثبت في الرقاع الموجودة عليه — ألف ألف ألف ومئة ألف ألف وستة عشر ألف ألف درهم ^(٢) (مليار و ١١٦ مليون درهم) ، وهو مقدار مبالغ فيه ، إلا أنه يثبت مقدار ثروة الخلافة العباسية من هذه الأحجار ، كما يفسر السبب في تأكيد المصادر التاريخية على كثرة الأحجار الكريمة في عهد المأمون بالذات .

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . ج ٢ ص ٤٣٦ .

(٢) ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص ١٨٤ .

الخاتمة

من خلال ما سبق ذكره عن الأحجار الكريمة فى العصر العباسى الأول يمكن أن نخلص بأهم النتائج الآتية :

١- تبين من خلال البحث أن الأحجار الكريمة فى العصر العباسى الأول كانت متعددة الأسماء ، بل إن الحجر الكريم الواحد ، كان له عدة أسماء ، وأن بعضها كان أوسع انتشاراً وأهمية من البعض الآخر .

٢- أظهرت الدراسة بأن عدد أماكن تواجد الأحجار الكريمة فى العصر العباسى الأول قد بلغت خمسين موضعاً على وجه التقريب ، وأن البلدان الإسلامية قد استحوذت على نسبة ٦٤% من عدد البلدان المتواجدها هذه الأحجار ، وهذا يؤكد على أن الأحجار الكريمة كانت سعة إسلامية خالصة فى العصر العباسى الأول .

٣- وضح من خلال البحث بأن طرق استخراج الأحجار الكريمة كانت متعددة ومختلفة باختلاف طبيعة الحجر الكريمة ذاته ، وأن عملية الاستخراج هذه كان يعمل بها الكثير من الأيدي العاملة ، وكذلك عملية صنعها وتشكيلها ، مما يفيد بأنها كانت تعمل على المساهمة فى القضاء على ما يعرف بمشكلة البطالة الآن .

٤- أبان البحث بأن الأحجار الكريمة لم يكن لها أسماء متعددة فقط ، بل كان لها ألوان متعددة أيضاً ، وأن الحجر الواحد له عدة ألوان ، ومع ذلك كان القائمون على التجارة فيها فى بلدان العالم الإسلامى يستطيعون التمييز بينها وتقدير أسعارها ، وهذا يدل على مدى براعتهم فى هذا المضمار .

٥- كشفت الدراسة عن أن الألباس الذى يعد من أغلى الأحجار الكريمة فى الوقت الحالى ، كان رخيص الثمن فى العصر العباسى الأول ، وأن سعره الذى ذكرته المصادر التاريخية ، لا يتوافق مع ما له من شهرة فى الماضى والحاضر وربما يكون السبب فى ذلك هو كثرته فى ذلك العصر ، خاصة مع كثرة الأحجار الكريمة عموماً فى عهد الخليفة المأمون .

٦- وضح من خلال البحث بأن عملية التجارة فى الأحجار الكريمة فى العصر العباسى الأول مرت بما يعرف الآن بعملية الاستيراد والتصدير فى التجارة المحلية والعالمية فى السلع ، وأن تجارة الأحجار الكريمة كانت لها أسواق مخصوصة فى بلدان معينة فى داخل العالم الإسلامى وخارجه .

٧- تبين من الدراسة بأن عملية الغش فى الأحجار الكريمة من الظواهر التى شهدتها العصر العباسى الأول ، وأن عملية الغش والتدليس هذه قد وقع فيها بعض الخلفاء أنفسهم ، وفى مقدمتهم الخليفة العباسى المهدي .

٨- أظهرت الدراسة بأن أسباب اقتناء الأحجار الكريمة فى العصر العباسى الأول كانت متعددة ، وكان منها جمال وروعة هذه الأحجار ، هذا فضلاً عن القيمة المادية لبعض هذه الأحجار مثل اللؤلؤ ، كما كان لبعض الفوائد الطبية لهذه الأحجار العامل الأكبر فى الحصول عليها ، بالإضافة لبعض الموروثات الشعبية والمعتقدات فى نفع أو ضرر بعض هذه الأحجار للإنسان عموماً .

٩- كشفت الدراسة بأن فئات مشتري الأحجار الكريمة فى العصر العباسى الأول قد تمثلت فى الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة ، كما كان للعامة حظاً فى ذلك بسبب كثرة الأحجار الكريمة فى ذلك العصر ورخص أسعار الكثير منها .

١٠- أبان البحث عن أن هذه الأحجار الكريمة كان لها استخدامات عدة فى الحياة الاجتماعية فى العصر العباسى الأول ، مثل المباهاة والتفاخر بها فى المناسبات الاجتماعية مثل حفلات الزواج ، وحفلات الجلوس على كرسي الخلافة والمواكب وغيرها .

المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات :

— الحلبي : عمر بن أحمد الشماع الحلبي . ت ٩٣٦هـ .

١— سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار . مخطوط بجامعة الملك سعود — المملكة العربية السعودية

. تحت رقم ٥٤٩ — س ٥ ش .

ثانياً : المصادر العربية والمعرية :

— الأبشيبي : محمد بن أحمد الأبشيبي . ت ٨٥٠هـ .

١— المستطرف في كل فن مستظرف . شرحه د/ مفيد قميحة . ط — دار الكتب العلمية — بيروت —

الطبعة الأولى ١٩٨٣ م .

— ابن الأثير : علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير . ت ٦٣٠هـ

٢— الكامل في التاريخ . ط — دار صادر — بيروت — الطبعة السادسة ١٩٩٥ م .

— الأصبخري : إبراهيم بن محمد الأصبخري . ت: النصف الأول من القرن ٤هـ .

٣— مسالك الممالك . ط — دار صادر — بيروت — لم تذكر سنة الطبع .

— ابن أبي أصيبعة : أحمد أبو القاسم المعروف بابن أبي أصيبعة . ت ٦٦٨هـ .

٤— عيون الأنباء في طبقات الأطباء . صححه / محمد باسل عيون السود . ط — دار الكتب العلمية

— بيروت — الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .

— ابن الإكفاني : محمد بن إبراهيم بن الإكفاني . ت ٧٤٩هـ .

٥— نخب الذخائر في أحوال الجواهر . تحقيق أنستاس الكرملى . ط — القاهرة سنة ١٩٣٩ م .

— البيروني : محمد بن أحمد البيروني . ت ٤٤٠هـ .

٦— الجماهر في معرفة الجواهر . تحقيق / يوسف الفادي . ط — شركة النشر العلمي — طهران —

إيران — الطبعة الأولى ١٩٩٥ م .

— التاجر : سليمان التاجر . كان حياً سنة ٢٣٧هـ .

- ٧ - عجائب الدنيا وقياس البلدان . تحقيق د/ سيف شاهين الميرغى . ط - مركز زايد للتراث - العين - الإمارات العربية المتحدة - الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م .
- الثعالبي : عبد الملك بن محمد الثعالبي .
- ٨ - لطائف المعارف . ط - بريل - ليدن - هولندا سنة ١٨٦٧ م .
- الجاحظ : عمرو بن بحر الجاحظ .
- ٩ - التبصر بالتجارة . تحقيق / حسن حسني التونسي . ط - مكتبة الخانجي - القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٩٤ م .
- ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي بن الجوزي . ت ٥٩٧ هـ .
- ١٠ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . ط - دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٥٨ هـ .
- الحموي : ياقوت بن عبد الله الحموي . ت ٦٢٦ هـ .
- ١١ - معجم البلدان . ط - دار الفكر - بيروت - لم تذكر سنة الطبع .
- ابن حوقل : أبو القاسم بن حوقل النسيبي .
- ١٢ - صورة الأرض . ط - دار صادر - بيروت - لم تذكر سنة الطبع .
- ابن خرداذبه : عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه .
- ١٣ - المسالك والممالك . ط - دار صادر - بيروت - لم تذكر سنة الطبع .
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون . ت ٨٠٨ هـ .
- ١٤ - المقدمة . تحقيق د/ علي عبد الواحد وافي . ط - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٦ م .
- الخوارزمي : محمد بن أحمد الخوارزمي . ت ٣٨٠ هـ .
- ١٥ - مفاتيح العلوم . تحقيق / فان فلوتن . ط - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ٢٠٠٤ م .
- سلسلة الذخائر . رقم (١١٨) .
- الدمشقي : جعفر بن علي الدمشقي . كان حياً سنة ٥٧٠ هـ .

- ١٦ — الإشارة إلى محاسن التجارة . ط — مطبعة المؤدي سنة ١٣١٨ هـ .
- الذهبي : محمد بن أحمد الذهبي . ت ٧٤٨ هـ .
- ١٧ — سير أعلام النبلاء . تحقيق / شعيب الأرنؤوط . ط — مؤسسة الرسالة — بيروت سنة ١٩٩٣ م
- الرام هرمزي : بزرك بن شهریار الرام هرمزی .
- ١٨ — عجائب الهند بره وبحره وجزايره . ط — مطبعة السعادة — القاهرة — الطبعة الأولى ١٩٠٨ م .
- ابن رسته : أحمد بن عمر بن رسته .
- ١٩ — الأعلام النفيسة . ط — دار صادر — بيروت — لم تذكر سنة الطبع .
- ابن الزبير : القاضي الرشيد بن الزبير . (القرن ٥ هـ) .
- ٢٠ — الذخائر والتحف . تحقيق د/ محمد حميد الله . ط — دائرة المطبوعات . الكويت سنة ١٩٥٩ م .
- الزهري : محمد بن أبي بكر الزهري . ت . أواسط القرن ٦ هـ .
- ٢١ — كتاب الجغرافية . تحقيق / محمد حاج صادق . ط — مكتبة الثقافة الدينية — القاهرة لم تذكر سنة الطبع .
- ابن الساعي : علي بن أنجب المعروف بابن الساعي . ت ٦٧٤ هـ .
- ٢٢ — نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الخوارج والإسماء . تحقيق د/ مصطفى جواد . ط — دار المعارف — لم تذكر سنة الطبع .
- السيراني : أبو زيد الحسن السيراني . كان حياً سنة ٢٠٣ هـ .
- ٢٣ — رحلة السيراني . تحقيق / عبد الله الحبشي . ط — المجمع الثقافي — أبوظبي — الإمارات العربية المتحدة سنة ١٩٩٩ م .
- شيخ الربوة : محمد أبي طالب الأنصاري المعروف بشيخ الربوة .
- ٢٤ — نخبة الدهر في عجائب البر والبحر . ط — مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية — بطرسبورغ سنة ١٨٦٥ م .

د/ امام الشافعي محمد حمودي الأحجاز الكريمة في العصر العباسي الأول
(١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٤٩ - ٨٤٦ م)

- الطبري : محمد بن جرير الطبري . ت ٣١٠ هـ .
- ٢٥ — تاريخ الرسل والملوك . تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم . ط — دار المعارف — لم تذكر سنة الطبع .
- ابن العبري : غريغوريوس بن أهرون . المعروف بابن العبري . ت : ٦٨٥ هـ .
- ٢٦ — تاريخ الزمان . تعريب / إسحق أرملة . ط — دار المشرق — بيروت سنة ١٩٩١ م .
- الغزولي : علاء الدين بن عبد الله الغزولي .
- ٢٧ — مطالع البدر في منازل السرور . ط — مطبعة إدارة الوطن — القاهرة — الطبعة الأولى ١٢٩٩ هـ .
- ابن الفقيه : أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه .
- ٢٨ — مختصر كتاب البلدان . ط — بريل — لندن — هولندا سنة ١٣٠٢ هـ .
- القزويني : زكريا بن محمد القزويني . ت ٦٨٢ هـ .
- ٢٩ — آثار البلاد وأخبار العباد . ط — دار صادر — بيروت — لم تذكر سنة الطبع .
- ٣٠ — عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات . ط — مطبعة البايي الحلبي — القاهرة — الطبعة الخامسة ١٩٨٠ م .
- القنوجي : صديق بن حسن القنوجي . ت ١٣٠٧ هـ .
- ٣١ — أجد العلوم . تحقيق / عبد الجبار زكار . ط — دار الكتب العلمية — بيروت سنة ١٩٧٨ م .
- ابن ماسويه : يحيى بن ماسويه . ت ٢٤٣ هـ .
- ٣٢ — الجواهر وصفافاً وفي أبي بلدهي ، وصفة الفواصين والتجار . تحقيق د/ عماد عبد السلام رؤوف . ط — الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٧ م .
- المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي . ت ٣٤٦ هـ .
- ٣٣ — أخبار الزمان . ط — دار الأندلس — بيروت — لم تذكر سنة الطبع .
- ٣٤ — مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد . ط — دار الفكر — بيروت — الطبعة الخامسة ١٩٧٣ م .

— المغربي : أحمد بن عوض المغربي .

٣٥ — قطف الأزهار في خصائص المعادن والأحجار ونتائج المعارف والأسرار . تحقيق / برون بدري

توليف . ط — خزنة التراث — بغداد — لم تذكر سنة الطبع .

— المقدسي : أبو عبد الله محمد المقدسي .

٣٦ — أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . ط — دار صادر — بيروت — لم تذكر سنة الطبع .

— المناوي : محمد عبد الرؤوف المناوي . ت ١٠٣٩ هـ .

٣٧ — التوفيق على مهمات التعاريف . تحقيق د/ محمد رضوان الدايدة . ط — دار الفكر — بيروت —

الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .

— ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور . ت ٧١١ هـ .

٣٨ — لسان العرب — ط — دار إحياء التراث العربي — بيروت — الطبعة الثانية ١٩٩٧ م .

— ابن الوردي : سراج الدين عمر بن الوردي .

٣٩ — خريدة العجائب وفريدة العجائب . ط — مطبعة البابي الحلبي — القاهرة سنة ١٣٤١ هـ .

— اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي .

٤٠ — تاريخ اليعقوبي . ط — دار صادر — بيروت — لم تذكر سنة الطبع .

المراجع العربية والمعرّبة :

— البيطار : أمينة البيطار (دكتورة)

١ — تاريخ العصر العباسي . ط — منشورات جامعة دمشق — سوريا — الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٧ م .

— جمعة : علي جمعة (دكتور)

٢ — المكايل والموازين الشرعية . ط — القدس للنشر — القاهرة — الطبعة الثانية سنة ٢٠٠١ م .

د/ امام الشافعي محمد حمودي الأحجاز الكريمة في العصر العباسي الأول
(١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٤٩ - ٨٤٦ م)

— الدوري : عبد العزيز الدوري (دكتور)

٣— تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري . ط — مركز دراسات الوحدة العربية —
بيروت — الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٥ م .

— زيدان : جرجي زيدان :

٤— تاريخ التمدن الإسلامي . ط — دار الهلال — القاهرة — لم تذكر سنة الطبع .

— عمارة : محمد عمارة (دكتور)

٥— قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية . ط — دار الشروق — بيروت — الطبعة
الأولى سنة ١٩٩٣ م .

— قمر : محمود قمر (دكتور)

٦— دور البحرين في الملاحة والتجارة البحرية من صدر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية . ط —
دار عين — القاهرة — الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧ م .

— المدور : جميل نخلة المدور .

٧— تاريخ العراق في عصر العباسيين . ط — دار الآفاق العربية — القاهرة — الطبعة الأولى سنة
٢٠٠٣ م .

— هايد : ف . هايد .

٨— تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى . ترجمة / أحمد رضا . ط — الهيئة المصرية
العامة للكتاب سنة ١٩٩٤ م .